

روايات عبير

فيوليت وينسبير

دمية وراء القضبان

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 112

دمية وراء القضبان

اكذوبة واحدة تكفي احياناً لتفتح ثغرة بحجم المرارة في حياة اثنين... والمرارة طريق شائكة بلا عودة. قد يكون الدافع هو الحب الجنوني... ولكن النتيجة غالباً ما تكون القسوة او الاحتقار، او الاثنين معاً...

هذا ما اكتشفه هراكليون مفراكيس... الثري اليوناني الذي يتحكم بمصائر الآخرين. وجد نفسه ضحية سهلة لفنيلا اوديل... المرأة التي تحلم بأن تعيش في ظله حتى ولو وراء القضبان...

سيكون لها ما ارادت، ولكن بشروطه هو... واحد هذه الشروط: ان يحطم احلامها واحداً بعد الآخر...

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE CHILD OF JUDAS

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ـ العروس المزيفة

«ما هذه اللعبة القذرة التي لعبتها؟»

كانت فني واقفة امام عريسها في غرفتها بالفندق ترتدي ثوباً ليس ثوبها بل ثوب بينلا وحذاء كانت قد حشته بالورق لكون مقاسه اكبر من مقاس رجلها.

ماذا تستطيع ان تجيب؟ هل في مقدورها ان تدافع عن عمل ارتكبته ولا يغفره لها؟

كانت بينلا قد تخلت عنه في آخر لحظة قبل حفلة الزواج، فرأى نفسه في ورطة لا يستطيع ان يخرج منها وينقذ كرامته امام الاصدقاء والمعارف، وجميع المدعوين ومصوري الصحف والمهنئين، وحتى الاعداء الذين لا تخلو منهم حياة كل رجل ذي سلطان... الا بالمضي في حفلة الاستقبال التي

تلت الزواج، اذ انه لا يجرؤ على الغاء الحفلة وخلق فضيحة كبرى من جراء ذلك.

احتشد الجمع . . . انتظاراً لقدوم العروس بينما كانت فنيّ تضع اللمسات الأخيرة على فستان العرس الابيض المطرز. ولبست الفستان ثم وضعت الحجاب التقليدي على وجهها وخرجت من غرفتها لتنزل السلم الى البهو حيث كان ينتظرها عمها دومنيك.

«كم انت جميلة!».

ابدى اعجابه وافتخاره بالفتاة التي كان يظن انها ابنته بينلا، بيد انه قبّل ابنة عمها فنيّ التي حلّت محلها. ووضع ذراعها تحت ذراعه وقادها الى السيارة التي كانت بانتظارها في الخارج.

وصلت . . . وتسلطت عليها كل الانظار وهي تدخله على انها بينلا متأبطة ذراع عريسها. لم يفطن احد الى غياب فنيّ التي كانت معروفة بتهرّبها من مواجهة الناس بسبب خجلها. وها هي الآن امام الكاهن بجانب عريسها لتعلن أمام الله والناس انها تقبل هراكليون مفراكيس زوجاً لها، وليعلن هو انه يقبل فنيلا أوديل زوجة له. وكانت العروس محجّبة اثناء الحفلة حسب التقاليد اليونانية.

وفيما هو ينظر اليها غاضباً وهي تريد ان تخلع ثوب العرس لترتاح، شدّها من شعرها بقوة وصرخ في وجهها:

«بحق الشيطان! كيف توصلت الى هذه النتيجة! لم أشك مطلقاً انك لست بينلا اذ كنت تشبهينها تحت الحجاب الا انك كنت شاحبة ترتجفين، والادهى من ذلك تظاهرك بالاغماء قبل الحفلة كيلا يفطن احد الى تغيّبك عن الاحتفال».

قرّب وجهه من وجهها فرأت عينين فيهما بركان وأحست بألم شديد.

«هل ما زلت تعتبرين نفسك ذكية الآن وانت وحدك معي في الفندق؟».

كانت فنيّ في تلك اللحظة تشعر بذنبها العظيم وبرعب من عريسها الذي استغلّت فيه اصالته اليونانية في احترام التقاليد، وهي تفرض على العريس الا يكشف عن وجه عروسه الا عندما يكونان منفردين في

غرفتها، ولهذا توجه الى الفندق في سيارة منفصلة برفقة اثنين من شركائه في العمل، لأن الرجال في انحاء كثيرة من اليونان لا يختلطون بالنساء علناً مثلهم في ذلك مثل باقي اهل الشرق.

كانت فنيّ وهي في هذا الوضع تتذكر كل دقائق عملية الصباح، بدءاً من خاتم الزمرّد الذي كانت بينلا قد تركته على طاولة الزينة في غرفة نومها، مع رسالة موجّهة الى هذا اليوناني الذي تعرّفت عليه في أثينا بينما تقوم بمختلف الاعمال البسيطة انتظاراً لأن تجد دوراً كممثلة مسرحية مبتدئة، ومن هذه الاعمال وظيفة دليل للسياح برعت فيها وتمرّست على مواجهة الناس بصراحة وجرأة، الى هذه الدقيقة التي ترى نفسها فيها واقفة امام عريسها في احدى غرف الفندق.

تعرّفت بينلا على هراكليون بينما كانت تعمل دليلاً فوقع تحت تأثير جاذبيتها من أول وهلة. تذكرت فنيّ ذلك وهي مع عريسها في فندق باركوي تاورز في لندن، وتساءلت عن قوة جاذبية بينلا حتى تسيطر عليه. . . علماً منها بأن اليونانيين يصرّون على تزويج اولادهم من بنات بلدهم اللواتي ينشأن على تقاليد وعادات الاجداد، واكبرت فيها سطوة جاذبيتها عندما أتى هراكليون الى انكلترا ليطلب يدها من والدها دومنيك اوديل.

وافق والدها. وأقيمت المراسم الدينية وكان هراكليون مفراكيس وهو يتأبط ذراع فنيّ يعتقد انها بينلا، وألبسها خاتم الزواج، وفعلت هي ذلك على أنها بينلا وكانت ترتعد خوفاً من اكتشاف لعبتها في آخر لحظة.

لا تدري فنيّ اذا كان هرب ابنة عمها بينلا من هراكليون، سببه الخوف او رغبتها المِلحّة في الحصول على دور يلائمها للتمثيل في نيويورك.

كانت فنيّ تعرف بالعلاقة القائمة بين بينلا وبين المنتج درايك مونترسن في الماضي. وكانت بينلا لا تخفي شيئاً عن فنيّ منذ أيام الدراسة، فهي بمثابة أخت لها خاصة انها بلا أهل. ودومنيك اوديل، التاجر الغني الناجح ستصيبه صدمة قوية لو عرف ان ابنته الوحيدة بينلا ربطت نفسها برجل مثل مونترسن يكبرها بعدة سنوات وله سيرة غير حميدة تماماً.

وفني نفسها صدمت بهذه العلاقة . . . ولكنها انتفضت عندما قارنت

* * * *

تصورت نفسها في فستان العرس المطرز بزهر الزنبق، رمز كل فتاة عذراء طاهرة الجسد والقلب والعقل، كما كانت فني قبل ان تخدع هذا الرجل.

رأت، وهي واقفة امامه، شرايينه البارزة يحدّق فيها بعينين تقدحان شرراً، وكأنه يريد ان يخنقها. انها لا تلومه، بل ترحب بعمل كهذا فقد ينقذها من وضع اخذ يزيد من مخاوفها مع كل دقيقة.

«كيف تجاسرت ان تحلي محلها وتنتحلي اسمها...؟».

كان صوتها خافتاً عندما أجابت:

«لم انتحل اسمها».

واضافت تقول:

«بل اعلنت إسمي الذي يشبه اسمها...».

«ابنة العم فني!».

تلوّت شفتاه وامتلأت عيناه غضباً وازدراء. الا انها همست قائلة:

«اسمي فيّلا، وهذا ما سجلته في سجل الزواج. فهل تعتبر هذا تزويراً؟».

«كانت يدك ترتجف وانت تكتبين، وأدهشني ان ترتجف فتاة مثل بينلا. وكيف اعرف ان الفتاة ذات الشعر الاشقر الذي كان يغطيه الحجاب ليست عروسي الحقيقية؟ وكيف اعرف ان هناك غشاً وخداعاً؟».

كان وهو يتكلم يزيد من ضغط اصابعه على كتفيها، وبعد ان تفحّصها بدقّة جرّها الى النافذة وعرض وجهها الى الضوء وقال:

«لا تشبهينها مطلقاً حتى تكوني صورة طبق الاصل عنها، ولكن العرائس ماهرات في تغيير مظهر وجوههن لتختلف عما كانت عليه قبل الزواج. وحتى الاقارب والاصدقاء يؤخذون بمظهر العروس المتخفية

بالحجاب، ويتساءل عريسها هل التي امامه تمثال من شمع مزين بالزهور ام انسان؟ ويدهشه ان يديها اللتين كانتا دافئتين قبل الزواج احسهما باردتين عندما البسها الخاتم، وان صوتها الجذاب اصبح بارداً».

تابع حواره كأنه يكلم نفسه:

«بحق السماء... كيف يستطيع الرجل ان يتأكد من ان العروس الواقفة امام الهيكل في لباس ابيض كالثلج، هي المرأة نفسها التي كانت تذوب بين ذراعيه ايام الخطوبة!».

صرخت فني من الألم لانه كلما تعمّق في تفكيره كان يغرز اصابعه في لحم كتفيها دون ان يدري. رأت كل شيء فيه غريباً وقاسياً، ولأول مرة تجد نفسها وحدها معه، ومعرفتها به كانت يوم الخطوبة عندما كان عدد المدعوين من الكثرة بحيث لم يمكنها تبادل كلمة واحدة. رأت خطيب ابنة عمها بينلا رجلاً ذا قامة طويلة وبنية قوية، رشيقاً وذا عينين كعيني النمر.

«اذا آلمتك فانت السبب».

كانت عيناه العنبريّتا اللون تتفحصانها ورأت فوقهما حاجبين يشبهان حد السيف، وصوته الذي كان يومذاك ناعماً وحلواً سمعته الآن حاداً كشفرة السكين.

«انتظري المزيد من الالم. هذا ليس تهديداً بل وعداً ايتها المزوّرة! هل توقعت بهجة وسروراً عندما ارتديت ذلك الثوب الابيض واخفيت وجهك وراء الحجاب اللعين؟ ماذا كنت تأملين من انتحالك شخصية بينلا؟».

كانت عيناه تبحثان عن الحقيقة، بينما تخفيها فنّي في اعماق قلبها ليقينها من انه سيرفض هذه الحقيقة المخيفة، ويحط من شأنها اذا هو فهمها.

فلينخدع بالظواهر... وهي انها لكونها فقيرة ومعدمة استغلت الفرصة لتصبح غنية، ولذا قامرت وربحت. تأمل فنّي انه سيتفهم ذلك ويتقبله، ولكنها لن تطلعه على حقيقة تقمصها شخصية بينلا والتي تنحصر في انها عندما وقع نظرها على ليون مفراكيس شعرت بذوبان جميع حواسها وارتعاش في جسمها عزته في أول الامر الى الخوف، ولكن الخوف ممّ؟ لم يغمض لها جفن تلك الليلة التي لاحقتها فيها صورته بالحاح، حتى انها

دفنت وجهها في الوسادة كي تبعدها عنها.

وضعت يدها في جيب فستان بينلا الذي ترتديه واخرجت ورقة وسلمتها له. كانت رسالة من بينلا الى هراكليون تخبره فيها سبب تخليها عنه:

«عزيزي ليون.

ما زلت مجنونة بحبك واعرف اننا كنا سنمضي اوقاتاً سعيدة معاً لو اني تزوجتك، ولكن بما اني أريد ان اصبح ممثلة وانت كيوناني لن تسمح لي بذلك، لم ارد ان اخسر فرصة ذهبية لأقوم بدور جرترود ماين في تمثيلية من الدرجة الاولى في نيويورك.

ارجوك ان تتفهم وضعي ومن اجل حبك لي حاول ان تعفو عني لهجري اياك.

ستسلمك فنّي هذه الرسالة ويمكنك الوثوق منها فهي كتومة، اما اذا سألك احدهم عن سبب انفصالنا فيمكنك الادعاء باننا تشاجرنا. وتأكد ان حبيبتك البعيدة عنك لن تنسى ذكراك!».

جفلت فني من صوت الورقة وهو يكوّرها في يده ويرميها بغضب في سلة المهملات. هذه هي نهاية حب تلاشى كالضباب، حب لا يستحق حتى مجرد التفكير فيه. ابتسم بمرارة والتفت الى فني وقال:

«اذن انت تؤمنين على الاسرار!».

كانت فتحة عينيه ضيقة ونظرتها قاسية وخطرة، وهو واقف كالقائد الذي تخلّت عنه فتاته ليسقط ضحية احتيال فتاة أخرى. برد الدم في عروق فني وتولّاها الخوف واليأس من انه لن يغفر لها.

وبالرغم من ذلك ارادت ان تعرف نواياه تجاهها:

«ماذا... ماذا تريد ان تعمل الآن؟».

هذا رجل غريب عنها، وقد يقذف بها خارج مقصورته حيث هي موجودة بصفة عروس ولكنها ايضاً دخيلة. نظر اليها ساخراً واجاب:

«ماذا تريدين مني ان اعمل؟ انت تعرفين اكثر من اي شخص آخر لماذا اتيت الى المعبد بلباس امرأة اخرى، وبكل جرأة ووقاحة قمت بكل ما تخلّت هي عنه، انت، ابنة العم الفقيرة التي كانت تجلس في الزاوية مع

قطة البيت! الا ترين انك تحت رحمتي؟».

«اعرف ذلك».

كانت فنّي ترتدي ثوباً بلون الياقوت الازرق، وهراكليون الشاب الطويل ذو العضلات القوية يرتدي بذلة رمادية اللون، والفارق بينهما هو ان فني كانت تنظر اليه بخوف، بينما كان سكوته اكثر تهديداً من كلامه القاسي. شبهت وجهه بقطعة حديد خرجت لتوها من أتون ورأت فيه قبحاً لا ينسى.

«استطيع ان ارميك من هذه النافذة، ولن يلومني احد. في كل الاحوال، من سيهتم؟».

«لن يهتم احد... وسيبررون عملك».

نظر اليها من رأسها الى قدميها ثم قال:

«جميل منك ان تعرفي ذلك. ولكني ما زلت مذهولاً كيف ظننت انني اعقد قراني على بينلا المتلألئة وانا اعقده على فتاة متحفظة... هي لها عينان بلون الياقوت الازرق، وانت لك عينان بلون الدخان الازرق، وشعرها ذهبي لا فضي، وليس لك شفتان جذابتان كشفتيها. وهل تعرفين ما هو شعوري نحوك؟».

«استطيع ان اخمّن».

كان جوابها هادئاً، ولكنها شعرت بالاهانة بسبب الاحتقار في عينيه العنبريتين.

«انا جازم من انك لن تستطيعي مطلقاً ان تخمّني ما افكر فيه الآن. اتصور اني اشتريت الماسة وعندما اخرجتها من علبتها وجدتها قطعة من فحم. أحس اني سُرقت، وهذا شعور لا يتحمّله اي يوناني».

«انا آسفة!».

كان حلقها جافاً ورأسها ساخناً ومؤلماً لانها كانت تسبح في دوامة من التفكير بالدور الذي لعبته بنجاح، والذي كان حلماً يراودها وارادت ان تستيقظ، ولكن الحلم تحوّل الى كابوس تحاول الهرب منه.

تلفتت نحو الباب يائسة علّها تستطيع الفرار وتنقذ نفسها من عقاب هذا اليوناني الذي رأى-وكان على حق فيما رأى-انه خُدع.

قفزت من مكانها فجأة، ولكن فيما كانت مسرعة نحو الباب خرجت

رجلها من الحذاء وخرجت معها قطع الكرتون التي فيه. وانقضّ هو عليها وحملها بيديه الفولاذيتين ورماها على الكنبة العريضة كمن يرمي صرّة ثياب. كانت تلهث من الرعب وهي تنظر اليه بعينين ملؤهما رعب وتوسّل. وانحنى فوقها بنظرات شرسة ومدّ يده فخلع الحذاء الآخر ورماه على أرض الغرفة وقال بلهجة ساخرة:

«ارى ان الحذاء ليس بمقاس رجلي سندريلا واني لست أميرك الجميل الذي سيلاطفك ويكرمك ويدعك تذهبين بسلام بعد ان القذت ماء وجهه امام الناس. انك حمقاء ومخطئة. اتعتقدين اني سأهتم بآراء من يأتون ليشاهدوا حفلة عرس او يوجهوا آلة التصوير الى رجل يحترمونه لمجرد انه من رجال الأعمال الناجحين؟

كنت سأتزوج من بينلا لانها كانت تتمنى ذلك، هل تفهمين؟ هي تتلألأ كالجوهرة وكنت اريدها ولكنك اخذت مكانها. . . وها نحن هنا لا نستطيع عمل شيء».

كانت فني تريد من كل قلبها ان تعوض عن الخطأ الذي ارتكبته، ودفعتها عفويتها وخوفها منه ان تقترح عليه حلاً عندما قالت متحمسة:

«بل نستطيع. من الممكن الغاء الزواج وهكذا تتحرر. . . .».

«الغاء زواج يوناني؟ وهل دفع بك جهلك الى الاعتقاد باني اتيت الى بلدك لاتزوج من ابنة عمك ومن ثم لأفكّ الرباط كأنه شريط من حرير لأن زواجي لم يكن كما توقعت؟ انظري اليّ! انا اسبارطي المولد ولا أدّعي اني خارق الا انني اقدّس الشرائع. هل تقدّرين معنى ذلك؟».

كانت تقدّر قوة ضربات قلبها وهي جالسة على الكنبة بين الوسائد الحريرية تنظر في وجه هذا السبارتي المصنوع من الفولاذ والذي قدّر لها ان تقع في حبه.

واضاف متعمّداً:

«وهذا يعني ان كلينا سُكبنا في قالب واحد ولا يفصلنا الا موت أحدنا، ومن السهل ان ادقّ عنقك واتخلص منك في هذه اللحظة».

اصفرّ وجهها وشهقت من الرعب.

«هل أرعبك تهديدي؟ اطمئني يا عزيزتي، انك لا تساوين بقائي في السجن، خاصة في زنزانات السجون اليونانية. وان احببت ذلك ام لم

احب، لي زوجة الآن ودعينا نحتفل بهذه المناسبة ونأكل قرص الحلوى الذي اتى به اخي زونار».

تذكرت انه عندما اتى اخوته الى الفندق ليهنئوه ويهنئوا عروسه كانت واقفة بالقرب من النافذة وظهرها اليهم. وسمعت زونار، أصغرهم، يتمنّى حظاً سعيداً لأخيه والسعادة لها.

وسيعود هراكليون في اليوم التالي الى اليونان مصطحباً عروسه الى جزيرة بتالودس التي اصبحت كلها ملكاً له، والتي ادخلها الآن ضمن نشاطاته التجارية مثل محاجر المرمر ومزارع العنب والتين، ومعصرة لزيت الزيتون ومصنع لتعليب السمك، وزوارق لنقل البضائع وفندقين ونادٍ ليلي وثلاثة مطاعم وبعض الفيلات الفخمة. بالاضافة الى ذلك فانه مضارب كبير في مختلف الميادين التجارية والصناعية، ويقال عنه انه عامل خير وانه قاسي القلب وصعب المراس في آن واحد. ولكن هذا الرجل الخارق كان عند نهاية الحرب يفتش هو واخوته اليتامى عن وسيلة ليبقوا على قيد الحياة. ويعود الفضل في بقائهم احياء الى بأس هراكليون اخيهم الاكبر ذي الارادة القوية وصاحب الذكاء الحاد. . . وعندما عرفت فني بمجيئهم لتهنئتها ودّت لو انها تختفي، نظراً لحبهم وتفانيهم له، ولكنهم اخذوا ينكّتون عليه ويضحكون.

لم تكن هادئة الاعصاب وهو يقطع قرص الحلوى، وعندما سقطت على الارض وردة كانت تتوج القرص قال لها:

«الا تلتقطيها؟ انها تجلب لك الحظ. . .».

كان صوته عميقاً يعبر عن احتقار لها ولما قامت به. ولن يصدّق ابداً انها ارادت بذلك اخراجه من ورطة وانقاذ كبريائه. . . انه رجل مكتفٍ بذاته يعتمد على نفسه، وواقعيته لا تجعله يفهم ان امرأة قد تهتم به وهي بعيدة عنه. دائماً ينال ما يشتهي. فقد عارك وكدّ وحصل على أعلى المراكز، وكل ما يشعر به نحوها غضب راسخ لانها الصقت به شيئاً لم يكن يرغب فيه. . . امرأة سيُرغم على تسميتها «زوجة».

اقترب منها وفي يده صحنان في كل منها قطعة حلوى. وفي طريقه اليها ركل الوردة برجله تحت الكنبة. هذا حظها، يركله برجله.

«خذي!».

قدّم لها صحناً واحسّت كأن شيئاً توقف في حلقها وهي تقدم له كلمة شكر. ثم تناول زجاجة شراب معدني وملأ قدحين ناولها واحداً منهما.

«نخب ماذا نشرب؟ نخب حياة طويلة كلها سعادة في رفقة بعضنا؟».

«ارجوك، توقف! تشعرني بأني مجرمة».

«وهل انت غير ذلك؟ سرقتِ ما كان يخص امرأة اخرى».

«ولكن بينلا هجرتك...».

«كان عليك ان تلحقي بها. وهذا ما كانت ترجوه. كان عليك ان تأخذي طائرة هليكوبتر وتحكي معها وتقنعيها بأن الزواج اهم بكثير من الوقوف وراء كواليس المسرح ومراقبة غيرها يتقبل تصفيق الجمهور».

رفع قدح الشراب الى فمه وقال:

«قد يكون الزواج تمثيلية حياة أهم من تمثيلية مسرح، ولكني اكره الدور الذي فرض عليّ ولا أهتم بدور السيدة الاولى التي يجب ان ألعب دوري معها! كلي حصتك من الحلوى واشربي الماء المعدني، اذ تلزمك بعض الشجاعة».

كان نظرها مثبتاً في عينيه كأنها منجذبة اليه بتنويم مغناطيسي.

«ابتهجي وتهللي! لعمري، كلما نظرت اليك زادت حيرتي في قوة اعصابك وانت تقومين بهذا الدور. ما هو مرادك؟ ليس لك عائلة اوبيت. صحيح؟».

«سمح لي العم دومنيك باستعمال غرفة في بيتهم».

كان صوتها مبحوحاً، لا شفقة على حالها بل دهشة من وجودها في هذا الفندق الفخم مع رجل هو فعلاً زوجها. كانت غريزتها الانثوية هي التي دفعتها لتحل محل بينلا، وها هي الآن سجينة اندفاعها الجنوني.

هذه هي قرابة الغني بالفقير. فأرة صغيرة وفقيرة تحسد ابنة عمها الغنية الجميلة وتقضم قطعة الجبن بأسنانها في الفرصة المناسبة.

نهض من مكانه ومشى بضع خطوات ثم عاد وافرغ ما تبقى من الشراب المعدني وقال:

«ارفعي قدحك ودعينا نواجه هذا الموقف الصعب الآن، اذ يتوجب علينا ان نواجهه عاجلاً ام آجلاً. من تقاليد اليونان ان الخطوبة رباط

يصعب فكّه، فكيف بالزواج؟».

تناول قطعة حلوى بشوكته وعندما رفعها الى فمه تناثر بعض الفتات وسقط على الارض. عبس ولكنه قال:

«هذا يجلب الحظ، ولكنه في هذه الظروف مجلبة لسوء الحظ، وانا كيوناني انسجم مع الحياة وافهمها وافهم ما فيها من سخرية تنتظر الانسان في الزوايا. اشربي، اشربي، الآن!».

ارتعشت لدى سماعها هذا الصوت وشربت. كان يريد بينلا فجاءت هي وحالت بينه وبينها... هذه الفأرة الصغيرة التي انتزعت قطعة الجبنة من ابنة عمها.

كان يسير في الغرفة جيئة وذهاباً، وكانت شرايينها ترتجف مع كل حركة يقوم بها. ولم تكن حركاته هذه نتيجة لتوتر اعصابه بل بسبب مسّ كرامته وكبريائه لدى اكتشافه بانه تزوج من امرأة لم يكن يرغب فيها. ولكنه ليس بالرجل الذي تنهار اعصابه في اي ظرف صعب. وكانت في تحت تأثير غضبه طيلة الوقت تنكمش كلما تطلعت في عينيه الشبيهتين بعيني النمر.

قد يجد طريقة ليعاقبها، وستتقبل هذا العقاب لانها تستحقه.

«اخلعي قبعتك عن رأسك. تعرفين انك باقية هنا».

لم تكف عن الارتجاف، واطاعته فرفعت القبعة عن رأسها ووضعتها على الطاولة. وهزّت رأسها فانتثر شعر ذهبي خفيف اللون حول وجهها واضفى عليه جمالاً حساساً، وزاد من سحر عينيها اللتين يعلوهما حاجبان منسجمان مع لون الشعر. لم تكن لها جاذبية بينلا ولكن وجهها له طابع ناعم وحلو. نعتها سابقاً بان جمالها باهت لكن كان ذلك لاهانتها فقط.

واحست بانه لم يرفع نظره عنها. وقال لها مكشراً:

«و[illegible] المغلب، ألست كذلك؟».

«وانت القرصان الفولاذي، الست كذلك؟ بلا قلب، بلا رحمة».

صحيح انها خدعته فاهانت كرامته، لكن لها كرامتها هي الاخرى.

«فعلاً، بلا قلب ولا رحمة. هل توقعت مني ان اتغاضى عنك؟ اذن تفاؤلك يتساوى مع انتهازيتك».

«لست متفائلة طبعاً، واعرف مدى كرهك لي».

«نعم يا سيدتي. نستطيع نحن اليونانيين ان نكره حتى النهاية. هل انت مستعدة ان تتلقي كرهاً مستديماً بدلاً من حب لطيف؟».

«هذا يعني انك ستبقي هذا الزواج قائماً؟».

انقبضت يداها في حضنها وارغمت نفسها على البقاء حيث هي، لأنها اذا حاولت الهرب يقفز وراءها مثل الهر وراء الفأرة، خاصة وان مزاجه على قاب قوسين من استعمال العنف.

«هل تعرفين القول المأثور في اليونان، «عندما تحل النكبة تظلم النجوم»؟ انت اصبحت زوجتي وسأجعلك تندمين على خداعي. ان شرائع الزواج في اليونان ليست مائعة كشرائعكم في انكلترا. نحن اذا نذرنا نحفظ النذر، وسأنذر ان كل يوم يمر عليك سيكون يوم ندم لأنك تحجّبت بحجاب بينلا لتخدعيني. هزئت من هذا الحجاب واخفيت شخصيتك وراءه لتقومي بدور الكاذبة واللصة!».

كادت العبرات تخنقها وهي تقول:

«لا، لا. هذا غير عادل!».

«هذه هي الحقيقة الوحيدة هذا اليوم. انت سرقت مكان ابنة عمك، واحتلت على الناس لتفتحي طريقك».

قفزت غاضبة وصرخت بجرأة:

«هذا غير صحيح! لم يكن هذا قصدي. انا قصدت فقط انقاذ كبريائك».

«صحيح؟ هل تفكرين ان هناك ذرة من الكبرياء في رجل يجد نفسه فجأة متزوجاً من امرأة لا يريدها؟».

كادت تسقط من الحزن والأسى.

«كلا... لولا ذلك لانتظرت عروسك بينلا عبثاً ولكانت النتيجة اذلالاً لك...».

«وهل الوضع الذي انا فيه اقل اذلالاً؟ خاصة واني اصبحت زوجاً لامرأة لا اكنّ لها اي شعور غير الاحتقار؟ انت تحملين اسمي الآن ولن اسمح ان يلطخ هذا الاسم بالثرثرة والقال والقيل. نحن اليونانيين نعيش عيشة شريفة».

«امام العالم الخارجي؟».

سألته وهي غير أكيدة من انها ستصمد في وجهه، اذ ان رجليها لا تكادان تحملانها ولا تريد ان تنهار امامه. يجب ان تقاوم حتى تخرج من الغرفة بالقوة او بالحيلة واذا فشلت فبالاقناع. واضافت تقول:

«لم اقصد الاساءة الى كبريائك. صدّقني. اردت فقط... اعرف ان ما قمت به كان عملاً طائشاً، لكن...».

«اعتقد انك كنت واعية تماماً بما انت مقدمة عليه، وعزمت على عمل ذلك حالما قرأت رسالة بينلا. كنت تعرفين اني ثري وربما كلمتك ابنة عمك عن قصري في الجزيرة. فقلت لنفسك ان القصر الفخم أفضل بكثير من غرفة حقيرة، وان الثمن للوصول الى ذلك زهيد جداً، وهو ينحصر في استسلامك لهذا اليوناني العصاميّ الذي كوّن نفسه بنفسه والذي سيتشرّف باحتضان فتاة انكليزية هزيلة».

«لم افكر بشيء كهذا مطلقاً».

غير انها ذات ليلة لم تنم فيها اطالت التفكير بهذا الرجل الذي يختلف عن باقي الرجال ممّن كانوا يحومون حول بينلا التي تجتذبهم مثلما يجتذب المصباح الفراشات. ولم تنكر في نفسها انها كانت تتساءل عما يشعر به المرء بالقرب من هذا الرجل، كأنه صخرة نحتت انساناً.

«واذا كنت فضولية لمعرفة شيء ما عني يا سيدتي، فسأرضي فضولك».

قام بحركة تعبيرية بيديه القويتين ونظر اليها بعينين حادتين كقطع من الفولاذ.

«مثل دارج في اليونان يقول: «لا يجب ان تعيش المرأة كشجرة تين غير مثمرة»، ولذا يتوجب عليك ان تكسبي خبزك اليوناني بعرق جبينك ومسكنك بكدّك. صحتك جيدة على ما اعتقد، وليس لك خبرة ما ولكن جلدك صاف وتبدو اسنانك قوية...».

صرخت في وجهه بعد نظراته المهينة قائلة:

«لست حصاناً حتى تتفحصني هكذا! قمت بما قمت به بأطيب نية، ولكني لن ابقى هنا لأتلقى اهاناتك...».

«ستفعلين ما يطلب منك».

كان وهو يقول ذلك يتقدم نحوها وهي تتراجع أمام هذا البرج العالي،

واعية بوجودها وحدها معه في هذه المقصورة التي لن يدخلها احد طالما فيها زوجان. . . في شهر العسل. كانت عارية القدمين وهذا جعلها ترى نفسها أصغر مما هي واضعف، فكانت تغرزهما في السجاد على ذلك يمدّها بالقوة الى ان بلغت النافذة والتصق ظهرها بالستائر المسدلة.

توقفت هناك بين العملاق امامها وظلام الليل وراءها، وصرخت من الهلع عندما امسك بها وشدها اليه. قائلاً لها:

«زواجك مني كان بمحض اختيارك فقطعت كل علاقة بعمّك، وأنت الآن ملك مطلق لي أتصرف به كما اشاء».

ثبت نظره في عينيها وغرز يديه في خصرها وقال:

«هل كلامي واضح بما فيه الكفاية؟».

«نعم. انكليزيتك ممتازة يا سيدي وافهم منها انك سترغمني على احترام النذر الذي تعهدت به في ساعة جنون. . .».

«أظن انك تعهدت بهذا النذر وانت تزنين الربح والخسارة في عمليتك. كل ما تخسرينه غرفة بائسة في مؤخرة بيت عمك، ومركزاً متواضعاً امام ابنة عمك الباهرة الجمال».

«انت تعتقد اني كنت أحسد بينلا؟».

حدقت فيه مغتاظة ثم اضافت بحماس:

«هذا غير صحيح ولا يحق لك ان تنوّه به».

«انت التي ليس لها اي حق. انا يوناني، وحتى بينلا لا تكون حرة في تصرفاتها معي. اما انت. . . انت ستكونين مثل عرائس اسبارطة اللواتي كنّ يستخدمن لغاية واحدة فقط».

فقد وجهها لونه عندما رأت كل عظمة في وجهه بارزة كما لو انه نحت من صخور اسبارطة. سألته خائفة:

«ما. . . ماذا تعني؟».

«انت امرأة وتفهمين ما اعنيه».

ضغط عليها بذراعيه بشدة ورأت نفسها تحت رحمة يوناني لا يرحم.

«لك كل الحق في ان تغضب ويجب ان تصدّقني اذا قلت لك اني آسفة جداً لما بدر مني».

انتشرت الرجفة من قدميها الى باقي جسمها وشعرت فيّ بالذل كأنه احسّ بارتجافها هذا.

«ارجوك ان تعتقني قبل ان تدب فينا الكراهية. من الممكن اصلاح الأمر بينك وبين بينلا اذا ما زلت تحبها».

«تتكلمين عن الحب؟».

تقوّس حاجباه الاسودان فوق عينيه وقال بسخرية:

«لن أهدر عواطفي على اية امرأة يا بلهاء».

«لكنك اخبرتني انك قد تلصق ببينلا».

«طبعاً، ولكن ليس لهذا اية علاقة بالحب. فقط كنت اريدها! هل فهمت الآن ام انك بليدة لا تفهمين؟».

احمرّ وجهها ثانية عندما تأكد لها ما عناه بالضبط وقالت في داخلها «ولكن هذا السبب لا يدعوك لأن تتزوجها»، عندما تذكرت اعتراف ابنة عمها لها كيف أغواها درايك مونترسّن في بلدة ستراتفورد اون ايفون. ولكي تتفادى نظراته اخذت تنظر الى كتفيه كيلا يقرأ ما في عينيها من افكار. له منكبان قويان تشتهي ان تضع رأسها عليهما. . . ولكن لا يحق لها ذلك. . . لا تجد عنده الا الاحتقار.

«انظري الى عينيّ!».

شدّها من شعرها ورفع وجهها اليه واضاف:

«انت قدّمت نفسك ذبيحة وضحيت بنفسك ولذا لا تتظاهري بمظهر العذراء المرعوبة في هذه المرحلة من لعبتنا. تريدين ان تعيشي في قصر على جزيرتي في بحر ايجه، فليكن! لكنك ستعطينني ابناً وستعطينني هذا الابن خلال سنة من الآن، وسأخلي سبيلك فقط عندما تؤمنين لي الولد. هل سمعت ايتها المريبة؟».

سمعته جيداً واصابها ذهول لما قال: مولود ذكر مقابل حريتها. . . وكأنه سيد يخضع القدر لأمره ويجعل من عذابها وخوفها آلة طيعة فتنجب له ابناً عند الطلب.

«ألست متغطرساً لدرجة لا تطاق؟».

وجّهت اليه هذا السؤال وهي تتألم من شدّ شعرها واضافت ساخرة:

«واذا لم أحمل. . . او اذا كان المولود ابنة. . . فهل ستدك عنقي يا

سيدي؟».

مرّر نظره على وجهها وبانت قوة الخطر الكامن هناك.

«نرجو ان تحملي أولاً وان يكون الجنين ولداً. ولا بأس اذا امضيت سنة اخرى في بتالودس مع رجل يريد ان يستغلك فقط».

اصطكت اسنانها وارتعشت وهي بين ذراعيه... وفجأة اخذت ترتجف كريشة في مهب الريح وتشنجت اعصابها، وهدت قواها الصدمات العاطفية التي توالت عليها طوال النهار، وأحست كأن حمى تمكنت منها. لاحظ ليون ذلك فحملها بسرعة ومددها على الديوان، وفيما هي مرتمية قطعة واحدة سمعته يتكلم على الهاتف:

«قسم الخدمات؟».

كان صوته حاداً وفيه رنّة الامر وقدّم طلباً دون ان يذكر عنها شيئاً وتابع:

«ارجوك ان ترسل لي بأسرع ما يمكن قهوة ساخنة وصدر ديك هندي».

وضع السماعة مكانها ثم انحنى فوقها وقال:

«تمالكي نفسك لأني لا أريد ان اتحمل ظاهرة انهيار الاعصاب... هذا اذا كانت حقيقية. في كل الاحتمالات انت بحاجة الى تغذية لانك لم تكوني في حفلة الاستقبال. سيأتيك الخادم ببعض الطعام، لذا يجب ان تتعشي».

حاولت فني ان تمتثل لرغباته لكن جلدها كان ينكمش كلما نظر اليها، وتحسّ باعصابها تتمزّق. ألصقت وسادة الى جانبها علّها تساعدها على ايقاف ارتعاشها، وحوّلت نظرها عنه ولكنها لم تستمر اذ كانت تلك الدائرة الذهبية حول بؤبؤ عينيه، تجذبها فترى فيها معنى لكل نواياه. انه يوناني وبزواجه منها حصل على صفقة رابحة ولن يجعلها تفلت منه.

سمعا قرعاً خفيفاً على الباب دخل بعده خادم يدفع عربة صغيرة. فأسرع ليون ووقف بينها وبين الخادم كي لا يرى وجه فني، وتناول العربة عنه وبقي في مكانه إلى ان خرج الخادم واغلق الباب وراءه. قرّب هراكليون العربة من فني وسمعته يصب القهوة. قدم الفنجان لها، وكلّمها كمن يكلّم حماراً عنيداً:

«الآن، كفاك هذا التمثيل الصبياني لانه لا يؤثر فيّ. اشربي قهوتك ومن

ثم تناولي قطعتين من الساندويش وستشعرين انك اقل حماقة».

ساعدها على الجلوس وناولها فنجان القهوة فانسكبت بضع قطرات على ركبتها، ثم انحنت لترتشف من الفنجان وكانت القهوة كثيرة السكّر فاخذت ترشفها بدون توقف لتبلّل حلقها الجاف، وكلها رغبة في ايقاف رعشتها خاصة وانه يلحّ عليها ان تتوقف عن ذلك، معتبراً اياها ممثلة بارعة في التظاهر... ولكنها لا تلومه، وتعرف انها تستحق احتقاره. كان كل ما تمنّاه هو ان تقطع حبل الثرثرة عندما لم تحضر بينلا بثوبها الابيض يوم حفلة زفافها. ان رجالاً كهراكليون لا ينقصهم الاعداء الذين لن يقصّروا في التشهير به اذا رأوه وحده امام الهيكل... وهذه اكبر اهانة تجرح اي يوناني في عزة نفسه وكرامته، وكانت هذه الصفات هي التي اجتذبت فني لتقف بجانبه وتحل محل ابنة عمها.

سألها وهو يتناول فنجان القهوة الفارغ من يدها.

«هل تريدين قطعة ام قطعتين من الساندويش؟».

«لست متأكدة. سأحاول».

وضع قطعتين من الساندويش في صحن مع قطع من البندورة والخس، وكان وجهه في اثناء ذلك اقرب الى قطعة حديد من وجه انسان، وعيناه لا تعبّران عن أية انسانية. وقال وهو يناولها الصحن:

«حاولي جهدك ان تأكلي».

«شكراً. الا تريد تناول شيء ما؟».

«ربما. سنتاول طعام العشاء في المطعم عند الساعة السابعة والنصف ومن ثم سنذهب الى مسرح اولدويتش لحضور تمثيلية هاملت، لكني لا اعلم اذا كنت من المعجبات بشاعركم العظيم شكسبير، اما بينلا فانها من المعجبات به وهي التي اقترحت ان نحضرها».

لاحظ ليون الدهشة التي اعترت فنّي عندما ذكر لها تعلّق بينلا بشكسبير وهي تعلم ان سبب هذا التعلق هو درايك مونترسن الذي كان من حين الى آخر ينتج مواسم تمثيلية لهذا الشاعر الكبير. ولا تدري فني اذا كانت بينلا ذهبت الى نيويورك لتمثّل هناك بدعوة منه، اذ ان رجلاً مثل مونترسن لا يدع غنيمة لها جاذبية بينلا تفلت من بين يديه، خاصة ان بينلا تعمل جاهدة كي تصبح ممثلة ناجحة، وهراكليون يوناني متزمّت لن يقبل ان يرى

امرأته تعرض نفسها على خشبة المسرح فيعجب بها الرجال...

«هل تحب شكسبير؟».

سألته فضولا منها لمعرفة ميوله، هذا الرجل الذي سيفرض عليها حياة زوجية لم تكن تتوقع ان يجعلها قاسية عليها بعكس ما كانت تحلم.

«أتقبّله او ارفضه تبعاً لمزاجي».

جلس هراكليون على مقعد وفي يده صحن ساندويش، ولما رأته يأكل بدأت هي الاخرى بالأكل ووجدت ان لحم الديك كان طرياً شهياً، فزادت قابليتها لأنها احست بالجوع يلوي معدتها كانت هذه أول لقمة لها طيلة اليوم، ولم تفكر بالطعام منذ ان قرأت رسالة بينلا التي وجدتها مسنودة على زجاجة عطر وخاتم الخطوبة امامها، ومن عادات بينلا الا تخرج بدون خاتمها واستنتجت من ذلك ان ابنة عمها ترهب الرجل الذي هجرته.

تساءلت في كيف تتخلى اية امرأة عن هراكليون؟ خاصة بعد ان برهن لها انه يريدها بكل قوته وكما قال عنها، انها تذوب بين ذراعيه. وتصورت في نفسها بين ذراعي هذا الرجل، دون الاحساس بأي شيء غير ساعدين من فولاذ يريدان منها طاعة عمياء، حتى تنجب له صبيا يكون مفتاحاً لباب حريتها. ومما يزيد في عذابها انها تحبه وفي الوقت نفسه تخاف من كل عضلة فيه وعصب.

التصقت قطعة لحم بحلقها من غصة التفكير في وضعها وابتلعتها بصعوبة كبيرة، ولكي لا يراها احنت رأسها واخذت تبكي. لاحظ ذلك ولكنه لم يبد اية حركة ولم يتأثر باختلاجها وهي تحاول ابتلاع اللقمة.

«ارغب... في ان ابرهن لك على أسفي الشديد. انا قمت بذلك باندفاع وعفوية...».

«كان عملك تمثيلية بارعة. وارجوك الآن ان توفّري عليّ مشاهد البكاء. فقد مثّلت دوراً تحسدك عليه ساره برنار الممثلة الفرنسية الشهيرة ولا يحتاج دورك الى اي تحسين في اظهار خجل وتردّد الفتاة البكر التي ستنتقل من طور في حياتها الى طور آخر. وبالمناسبة، هل انت بكر؟».

صرخت في وجهه من شدة صدمة السؤال الذي فاجأها به:

«طبعاً انا بكر!».

«لا لزوم لتأكيد ذلك يا سيدتي».

اشعل سيكاراً وأخذ يرسم بدخانه صوراً في الهواء وهو ينظر اليها بتمعّن وقال:

«كل فتاة تفرض نفسها على رجل على انه خطيبها أمهر كثيراً من ان تظهر في براءة ساذجة. هذه هي الحياة... وسأعرف الليلة، الا توافقينني على ذلك؟».

علا الدم في عروقها ورأت شفتيه تتلويان بسخرية. ولكنها سمعته يأمرها:

«كلي ما تبقّى من الطعام وانزعي عن فكرك ان لي صفات ليّنة قد تفيدك. كل ما أريد تأمينه هو ان يكون بين يدي امرأة كاملة لا حطام امرأة. سنقوم بدورنا هذه الليلة... وغداً سنسافر الى اليونان. هل لديك جواز سفر؟».

قالت له ان لا جواز سفر لديها بينها كانت تمضغ لقمة كان مذاقها مثل مذاق التبن في فمها.

«اتتذكّر الآن ان بينلا قالت انك ذهبت في عطلة الى جزيرة كريت برفقة احدهم من المكتب. هل كان رجلاً؟».

«كلا!».

كان جوابها سريعاً وحاداً. انه يحقق في مستوى اخلاقها، ولكن هل يعتقد ان بينلا كانت مثلها كانت تتظاهر، بينما لم تكد تترك المرآة دقيقة واحدة؟

«هذا ليس مهماً بالمرة. انت لا تساوين شيئاً في نظري، والمهم بالنسبة اليّ هو ان تكوني واسطة لغاية، وارى انك اسهل مراساً من بينلا في هذا الخصوص، وستلدين طفلاً اعجبك ذلك ام لم يعجبك، ولا اريد ان العب لعبة ناقصة».

كانت كل كلمة من كلماته سكيناً يطعن بها شعورها فتتألم، وبالرغم من ذلك فان لها كرامتها ايضاً. قالت:

«تلقّنت درساً قاسياً، ولكننا لن نتمكن من العيش معاً دون عطف متبادل... ستكون حياتنا جحيماً!».

«وسأجعلها جحيماً، تأكدي من ذلك».

كان ما زال يدخّن وينفث الدخان من أنفه، وعيناه نصف مغمضتين ونظراته جامدة كالحجر.

«هل تنتظرين جنّة من رجل يكرهك كرهاً عظيماً؟ انك لم تفكري الا في المنافع المادية، اذ ان كل متاع بينلا وجهازها الذي اشتريته لها موجود هنا، واذا كان فستان العرس قد لاءم جسمك فكل ما تبقى سيلائمه أيضاً ما عدا احذيتها».

ونظر الى رجليها الصغيرتين بين الوسائد وكأن رجليها احستا بنظره فأخذت الاصابع تتحرك وتتلوى كأنها تبحث عن حماية من عينيه اللتين تقولان: ان من يرتدي حذاء بينلا عليه ان يدفع الثمن. لا دخل للحب في هذا الصدد... فهذه عملية تجارية أو نوع من التعاقد الذي بموجبه تمنح في حياة غنية مدتها سنة مقابل ولد تلده له. فالمولود الذكر ذو اهمية كبرى في نظر الرجل اليوناني.

لا يهمّه مطلقاً اذا هي قامت بفعلتها هذه مدفوعة بعاطفة عفوية عميقة في قلبها، انه لا يعتبرها الا خدعة تافهة... امرأة انتهازية تريد الاستفادة مادياً من كل ما قدمه لبينلا. هذا هو كيانها ووجودها في نظره.

«انت قاسي القلب وغير متسامح».

قالت ذلك وهي تعلم علم اليقين بأنه لا يلين. كان كل ما فيه يدل على عدم مبالاة كل شيء فيه يرمز الى اهل اسبارطة الاقوياء المتقشفين الذين يسري دمهم في عروقه، وكما كانت النساء في اعينهم قديماً كذلك هي في عينيه، مجرد متعة. وقال معلقاً على عبارتها:

«من العدل ان نكفر عن ذنوبنا. هل صورت لك بلاهتك اني سأعاملك معاملة الصالحين؟

تدخّل القدر وصيّرني زوجاً لك، وبما انك أنثى فاني سأستفيد منك كل الاستفادة. ستلبسين ابهى الثياب وستظهرين امام اهلي كل احترام وانتباه تظهره عروس جديدة نحو زوجها».

«يعني انه يجب ان اتظاهر بأني احبك؟».

لن يعرف بكل أسف ان حبها له كان الحقيقة الوحيدة طيلة يوم كامل من التظاهر.

«نعم، وعليك ان تتظاهري تماماً كما تظاهرت اثناء حفلة عقد القران.

انا رأس العائلة وكبيرها وكل المسؤوليات والاعباء تقع على عاتقي، وعلى مثال كل بيت يوناني يقدّم لي أخوتي الطاعة والاحترام... فكم بالحري انت... زوجتي!».

زوجة... ارسلت هذه الكلمة رعشة في جسم فنّي، ووضّحت لها ان حلمها تلاشى وحل محله الواقع المر. هي بالفعل زوجة هراكليون مفراكيس التي لم يسع اليها، بل برزت في طريقه فقبلها لكن بشروطه التي لا تقبل التعديل او التبديل. وها هو زوجها يجلس امامها عابساً مقطب الجبين، ينصب نفسه قاضياً في صورة زوج، وجلاداً لا محباً. تكوّمت على نفسها وانكمشت بين الوسائد كأنها تريد ان تختبىء من نظراته.

«هل اخذت التلقيح اللازم استعداداً للسفر؟ توجد كلاب متوحشة في تلال اليونان يستعملها الرعاة لحماية قطعانهم، وعضة منها قد تكون خطرة».

«وما الفرق؟».

لا ترى فني الماً اكثر اهانة من ان يكرهها ليون.

«الفرق مهمّ يا حمقاء».

قام بحركة قصد منها الازدراء وهو يدخّن.

«داء الكلب اكثر ازعاجاً من زواج بلا حب لانه مميت. هل تلقّحت؟».

«نعم».

رأت ان الكذب لا ينفع معه. قام من مكانه وانحنى فوقها ليخلع سترتها.

«أريني ذراعك».

شعرت بألم في ذراعها عندما رفع الكم الحريري وأحست بوخزة عندما لمس طرف اصبعه مكان إبرة التلقيح.

«يدفعني كذب زوجتي الى مراقبتها. اين جواز سفرك وأوراق السفر الاخرى؟ هل هي معك ام في بيت عمّك؟».

«انها في حقيبتي».

كانت يده البرونزية ما زالت على ذراعها النقية اللون وكأنها ترسل موجات كهربائية عبر اضلاع صدرها... وكانت هذه الوخزات الغريبة

تسبّب لها تنهّدات كتمتها بقدر ما تستطيع كي لا يلاحظها.

«تنبهت الى كل شيء ولم تتركي شيئاً للصدف».

ونظر اليها ملياً ثم قال:

«ما الذي جذبك في كريت حتى تزوريها؟».

«سمعت انه مكان من أجمل ما يكون».

«هذا صحيح، ولكن بتالوس أجمل منها. لون صخورها بلون الحنّاء بسبب البراكين المائية التي أوجدتها. والقصر بني على مرتفع أيام الاحتلال العثماني ليسكنه الباشا والي الجزيرة... يمكنك القول اني في المركز ذاته مع اختلاف في التسمية فقط. ربما كلمتك ابنة عمك عن الجزيرة عندما بدأت تطمعين في احتلال مركز بينلا...».

«لا...».

هزت نفي رأسها وتألمت لأنها لا تجد وسيلة فعّالة لاقناعه بصدق كلامها واخلاصها.

«لم اطمع في اي شيء يتعلق ببينلا ويجب ان تصدّقني. وما حدث اليوم هو نوع من... اوه، لا استطيع تفسيره. عندما وجدت نفسي».

«سأعمل جهدي كي تتجاوبي كما يجب».

كانت ابتسامته ساخرة عندما انحنى فوقها، وركع بركبة واحدة على طرف الديوان فوضع يده حول عنقها وعانقها. هذا التقارب المفاجىء كاد يسبب لها الاغماءة، اذ انها تعرف كم سيعذّبها وستعيش في وسط عاصفة من صنعها هي.

«انت لا تعانقين مثل ابنة عمك».

غطى رأسها بكلتا يديه وانتثر شعرها بين اصابعه ولما نظر اليها كانت عيناه هازئتين ومتسائلتين.

«ماذا تكونين؟ هل انت تلك البريئة التي لا توصف ام انت امهر كلبة وجدت في العالم؟ ربما تكونين حورية بحر تستتر وراء حجاب شفاف من التواضع الكاذب؟ أياً كانت الحقيقة، لا يجدي الرجل ان يبحث عن شرارات في نار مطفأة. والأجدى الآن هو ان استغلّ كل شيء فيك».

وفيما هو يكلمها كذلك فطن الى انه سيحتضن في لا بينلا، فغضب

وشدّ بيديه على عنقها كمن يريد ان يحطم العظام التي فيها.

«بين كل شيئين يوجد خيط ارفع من الشعر... الحب والكراهية، ولكن بدل الخيط الرفيع سيقوم حبل مشدود بالنسبة الى كلينا. هل انت على استعداد لمواجهة ذلك؟».

«يجب ان اكون مستعدة طالما انك لا تعطيني خياراً آخر».

«لا خيار قبل ان تؤمّني لي صبياً ذا شعر أسود وصوت آمر».

٢- أنت مُلك لي

كان الفستان من الزيّ الاغريقي، بلا أكمام مع شريط مطرز تحت الخصر يصل الى اذياله بسراريح معلقة. هذا الثوب الذي كان معدّاً لبينلا اصلاً اي بمقاس فني كأنّه صمّم لها، لأن لهما نفس القامة. وكان لونه ازرق بحرياً تزيد زرقته في أشرطة التطريز.

رأت فني نفسها غريبة وهي واقفة امام المرآة فهي معتادة ان تلبس ثياباً فيها ذوق ولكن دون ان تلفت الانظار، لأن راتبها الشهري لم يسمح لها بشراء ثياب فاخرة، والآن وهي تنظر الى نفسها في جمال فستان ازرق جذاب، اخذ قلبها ينبض بسرعة اكبر. كان يضفي جمالاً على بياض جسمها وزرقة عينيها وشقرة الذهب في شعرها. لم تعتبر نفسها في يوم من الأيام بجاذبية بينلا التي لم تعرف للكبت معنى، فكانت تشع في حضرة

الرجال. اما فنّي فانها ترى جمالها الفني معكوساً في المرآة لأول مرة. ولا يستطيع هراكليون ان يشكو من انها بنت باهتة، ودخل الأمل قلبها في ان غريزته اليونانية ستجعله ذا حساسية نحو مظهرها الذي عاد بها الى الجمال الاغريقي الكلاسيكي.

كان التأثر بادياً عليها ورفعت يدها اليسرى فوضعتها على قلبها الذي كانت دقاته تتسارع ويبرق خاتم الزمرد الذي تلبسه في ضوء مصابيح المرآة. من من الموظفين في مكتب العقارات يمكنه الآن ان يتعرف على فني اوديل ذات الذوق والكفاءة في هذا الفستان الجميل؟ سيصيب الذهول زملاءها في المكتب بسبب هذا التحوّل... ولكن احلامها ما لبثت ان اسودّت بالاقاويل التي ستنتج عن هذا الزواج اذ يجب اطلاع عمها واخوة هراكليون على قصة تبديل العروس. ستكون هناك تعقيدات وثرثرات في كل مكان حول هذه الفتاة المعروفة بتحفظها مع الرجال، عندما ينتشر خبر رحيلها مع هراكليون في طائرته الهليكوبتر القرمزية.

وفجأة تصلبت عندما سمعت صوتاً آتياً من الغرفة المجاورة المتصلة بغرفتها بواسطة باب داخلي. ورأت هذا الباب في المرآة وهو يفتح ويدخل منه هراكليون بالحرية التامة التي هي من حق وامتياز الزوج في اي ساعة.

«هل انت مستعدة؟ يجب ان نتناول عشاءنا في الوقت المناسب كيلا نتأخر عن موعد المسرحية».

«اني جاهزة تقريباً».

تناولت رشاشة عطر وبسبب توتّر أعصابها رشّت نفسها بكمية سخية اكثر من اللازم. ملأ اريج العطر الفرنسي الغرفة ورأت زوجها يرفع حاجبيه تساؤلاً. كان يرتدي بذلة زرقاء على سواد وقميصاً حريرياً ابيض وربطة عنق صغيرة العقدة. والناظر اليه يرى ان هراكليون يبدو غريباً في هذا الطقم الانكليزي، ويبدو اكثر غرابة برجولته الفذة في هذه الغرفة الانثوية.

«استديري. دعيني انظر اليك».

اطاعته بدون تذمر وبالرغم من مظهرها الجميل كانت تعلم انه سيقارنها ببينلا. وتعلم ايضاً ان ابنة عمها في ظرف كهذا تضيف على الفستان اغراء فوق اغراء.

تتفحصها بامعان وعندما توقف عند تمشيطتها التي تعرف بقلب الاسد، والتي تليق برأسها ذي الشكل الحسن، علّق قائلاً:

«وأنانا الشيطان متلبساً بتلألؤ الدامغة».

لم يكن في صوته اي حيوية ولم تتوقع منه مديحاً. وبدلاً من ذلك اضاف:

«هذا الفستان على اية فتاة غيرك يجعلها مغرية لحد الجنون».

كانت تعرف انه بذلك يتوّه الى بينلا، ولكنها لم تعره اهتماماً بل قالت:

«أليس من الأفضل ان تتصل بعمي دومنيك؟ فقد يصيبه القلق».

«من اجلك انت؟ انهم اخلوك عندهم كشيء عادي بمستوى قططهم».

«ارجوك، الا نستطيع ان نتصادق؟ هذا أقل ما يمكن بيننا».

«لا مجال للصداقة يا سيدتي. انسي ذلك».

اخذ يمشي نحوها وكانت في تصارع نفسها كيلا تتراجع امامه. يجب ان تتمسك بما تبقى لها من كرامة وتواجهه بشجاعة قدر استطاعتها. هذه هي الوسيلة الوحيدة لتكسب ذرة من الاحترام، لأن اليونانيين معروفون بشجاعتهم وصمودهم. رفعت رأسها وتحمّلت تدقيقه فيها.

«ستتعذبين كثيراً يا حلوتي».

ظهرت على وجهه دلائل الاستمتاع بكلامه اللاذع ولما لم تجب تابع يقول:

«انت لست من العنصر الذي يتكوّن منه الشهداء... الفولاذ والصوف والخل. فبشرتك شاحبة كما لو انك كنت تحجبينها عن الشمس. انت تختلفين كل الاختلاف عن بينلا ومع ذلك احتلت مكانها ... هل انت ساحرة؟».

«انت أسميتني بكلبة ماهرة. وتساءلت فيما اذا كانت عندي بعض الفضائل، والآن لا تبدو متأكداً».

«اي رجل يستطيع ان يتأكد من المرأة؟ حتى الاولياء لا يستطيعون تفهّم غموض المرأة ومكرها... وانك محظوظة حقاً ان لا تمتلك ثياب بينلا...».

وبينما كان يتكلم اقترب منها واخذت يداه تتحسسانها من فوق الفستان. نظر في عينيها الزرقاوين الشبيهتين بغسق يوم حار.

«ملمسك يشبه ملمس زهرة رقيقة وباردة من السهل قطفها. انت

ترتجفين يا عزيزتي. هل ملامستي تخيفك؟».

«انت تخيفني».

كان صوتها مبحوحاً وخافتاً.

«انت خائفة من الألم».

«كلا. اظن اني خائفة من... كراهيتك».

«الكراهية عاطفة رهيبة، اليس كذلك؟ ونحن اليونانيين قلما نكون معتدلين في عواطفنا».

كانت اصابعه الصلبة تتحسس عنقها وقماش فستانها وجلدها كما لو كانت سلعة لا انساناً.

«يجب اثقال عنق المرأة باللآلىء... باللآلىء الحقيقية المنظومة بسلسلة قوية يستطيع المرء خنقها بها. لا تتحركي!».

جمدت فني في مكانها بينما كان يخرج من جيبه علبة سوداء. وشهقت من المفاجأة عندما فتحها ورأت في داخل العلبة على أرضية من المخمل الاسود عقد لؤلؤ ذا حبات كبيرة بلون الحليب اخرج العقد من العلبة ووقف خلف فني. هذه المرة حاولت ان تتراجع فقالت:

«لا!».

«نعم! توقفي عن الرفس كالفرس عندما يخزها المهماز».

«لا استطيع ان ألبس هذه القلادة. انها تخص بينلا!».

«لا فرق بين ان تلبسي ثيابها وان تتقلدي هذا العقد. اشتريته لها، وهي ليست هنا بينما انت هنا، ومن المؤسف ان تبقى مخفية داخل علبة بدل ان يمتع الانسان نظره بها على جسم امرأة. يحب اليوناني ان يرى الناس انه يستطيع ان يقدم مجوهرات ووسائل الزينة لامرأته».

«قطع زينة؟ هل العقد غير حقيقي؟».

احست فني الآن بثقل العقد على رقبتها.

«اتحسبين لآلىء مزيفة لتزين كذبتك يا خائنتي الصغيرة؟ هل ستشعرين بالاطمئنان اذا قلت لك انها من محلات وولويرث؟».

النقد اللاذع في صوته اقنع فني ان اللآلىء من محل يتعاطى أرقى المجوهرات فبالرغم من ان هراكليون ينكر انه وقع في حب امرأة تحدّى العرف اليوناني وخطب بينلا، وهي فتاة انكليزية لم تنشأ حسب التقاليد

اليونانية وليس لها مهر، كما لا يمكن التأكد من انها بكر. هراكليون يوناني صميم في معظم الاشياء ولكن شعر بينلا اللامع وحركاتها الوقّاحة حلبت لبّه وذوبت قلبه الفولاذي. . . وهو شخص لا يشتري لآلىء مزيفة لامرأة يحبها، وفني اكيدة من حبه لابنة عمها وتعتقد انه يفكر فيها رغم هجرها له يوم الاكليل.

ادار فني لتواجهه فاعجب ببهاء اللآلىء على جلدها، وقال ساخراً:

«هذه لآلىء تعرف باللآلىء البكر. يبدو انها تليق بك، ولكن ينقصني البرهان انها قد تكون كريما مجمدة على قرص من الحلوى».

«انك تهين بوحشية!».

كانت على وشك ان تقطع العقد وتقذفه في وجهه المتحجر.

«هل انت متأكد من ان بينلا نموذج في الفضيلة؟».

انطبقت اجفانه على عينيه ورأت من خلالها بريق عيني نمر يستعد للهجوم بدون رادع.

«اني اسائل نفسي وانت تلمّحين عنها من حين لآخر. قلت لك سابقاً واكرر الآن انك كنت تحسدين ابنة عمك، وبرغم فستانها الجميل ولآلئها البراقة التي تزيّن جسمك فانك قمر وهي شمس. ووجهك في العناق لا يختلف عن قطعة جليد. . . ذلك لانك تزنين عواطفك ببرود تام بدل ان تندفعي بها اندفاعاً خارجاً من قلب ينبض بالحرارة».

شعرت بكلماته تتساقط عليها كقطع زجاج تصيب وتجرح - وكان هو يعتقد جازماً بما يصفها، بينما تعرف هي ان هذا الوصف ينطبق تماماً على ابنة عمها. فقد بهرته بينلا مثلما بهرت غيره من الرجال بتعلقها بالمؤثرات الخارجية وبجعل نفسها محط الانظار، وبلفت النظر الى جلدها ذي اللون العسليّ المحروق والى لون شعرها الاشقر البلاتيني الذي يخلب اللب بفضل تفنن حلاقي الغرب الماهرين. وكانت بينلا بأنانيتها تضع رغباتها فوق رغبات الغير. . . فهي التي تحب كل شيء ببرود تام وبتروٍ وليس فني.

ولكن فني لم تر من المناسب ان تطعن في ابنة عمها رغبة منها في تجنب المزيد من الاهانات.

ورضخت لانحيازه ضدها وكانت تتقبل منه مرّ الكلام، ولكنها تأمل في الوقت نفسه الا يتحطم قلبها على يد هذا الرجل الذي تحبه.

تطلعت اليه بسكوت واحست بضعف في ركبتيها وهي ترى نظرة الاحتقار في عينيه وفي لمسات اصابعه وهو يتحسس عقد اللؤلؤ على رقبتها.

«البسي معطفك، ومنذ الآن اعتبري ان جميع الثياب والمجوهرات ملك لك».

«كما تريد».

ادارت وجهها عنه واحست بارتعاش في ركبتيها وهي تتجه نحو السرير لتأخذ معطفها، وهو بلا اكمام وله غطاء للرأس. لكنه سبقها اليه وساعدها على لبسه. لم تشعر قبل هذا الوقت بنفوذ كائن آخر ليس في حياتها فقط بل في عروقها وحتى في نخاع عظامها. فبالرغم من خوفها منه تراه كله حيوية وترى في عينيه قوة التسلط والحقيقة المرة بامتلاكه لها.

نزلا الى الطابق الارضي في المصعد السريع ودخلا غرفة الياسمين بزينتها الاخاذة وبنكهة الطعام التي كانت تفوح في كل مكان. واتى خادم فقادهما الى طاولة موجودة في مربع له جدران تفصلها عن باقي الطاولات مما يدل على ان هراكليون كان قد احتجز هذا المكان سلفاً. ورأت ان الغاية من ذلك هو لفت الانظار اليها، وخاصة الى شخصيته هو وربما للكشف عن هوية العروس الجديدة ذات الشعر الذهبي وذات الاخلاق المتحفظة التي حلت محل العروس الاولى التي أعلن عنها.

شعرت فني بانظار معظم الموجودين في غرفة الياسمين وسمعتهم يتهامسون وهي خارجة من غرفة ايداع الثياب، خاصة عندما سطعت الانوار على ثوبها الازرق وعقد اللؤلؤ. يعرف نزلاء الفندق انهما في شهر العسل ويعرفون ايضاً ان هراكليون من كبار رجال الاعمال اليونانيين، ولكن بدل ان يكون ذاك الثري بديناً فانه نحيل وقاسي النظرات، لا يتعاطى المشروبات او يتخم نفسه بالأكل، ومما زاد في بروز هيئته ولون بشرته البرونزي مثل جميع أهل اسبارطة، شقرة شعر فني وبشرتها الناصعة. وفيما هما يتقدمان نحو مقصورتهما اسرع وامسك يدها واجلسها الى المائدة وقال:

«دعينا نرضي فضولهم. لماذا لا تبتسمين في وجه عريسك لنظهر لهم اننا سعيدان؟».

«ما هي ضرورة قسوتك؟».
«افهمي يا عزيزتي انه يجب ان انتفع من هذا الزواج الى أقصى حد».
وبنظرة ساحرة وجهها اليها رفع يدها الى فمه وطبع عليها قبلة، وكان وهو يقوم بذلك يشد على يدها حتى آلمها. وبرق خاتمها الزمردي عندما اخذ يدها وعندما تركها. وقال:
«انت مزيفة من الرأس الى القدم وانا الرجل الفخور بامتلاكك».
«لم تجبر نفسك على الافتخار بي؟ اتركني فاذهب عنك».
«لم يحن الوقت بعد. سيكون ذلك متى عوّضت عليّ. انا يوناني ولا يقبل منطقي صفقة ان لم تكن كاملة. وانت تعرفين شروط هذه الصفقة التي وضحتها لك بكل بساطة».
«هل حقيقة تعتبر امرأة تكرهها جديرة بان تكون أماً لاولادك؟».
نظرت اليه بكبرياء واعتزاز ثم اضافت:
«انا عالمة بما تفكر فيّ».
«اذن ستكون حياتنا معاً خالية من الشكوك يا سيدتي، اذ اننا لم نتزوج عن حب اعمى كغيرنا من الناس، ولذا فاننا لن نقع ضحايا للأوهام».
جعلها بنظراته والتواء شفتيه تتوقع المزيد من العذاب. فعليها مثلاً ان تطيع أوامره وان تعي تماماً انه كلما لسعها بكلامه اللاذع كلما ازداد رضىً.
العدالة الاجتماعية في جانبه، ولكنها عدالة صارمة. ونظراً لتوتر اعصابها كانت وهي تفكر بهذا وتنظر اليه تحاول ان تمزق المحرمة التي كانت في يدها بدون ان تعي ذلك. وحسبت الف حساب لكرهه لها حتى وهو بجانبها في الفراش وتصورت نفسها ملقاة خارج بيته كقطعة اثاث حالما تنجب له طفلاً يحتفظ هو به.
«ابتسمي وازيلي نظرة الوجوم والحزن عن وجهك، فان الحاضرين ينظرون الينا».
قالت وهي تبلع ريقها من الغصة:
«أنا قلقة بشأن عمي. يجب ان يعلم عن مكان وجودي».
«انه يعرف. ليرتح بالك من هذه الناحية. فقد اتصلت به منذ ساعة واخبرته ان ابنته في نيويورك وان ابنة اخيه معي».
«اوه؟ ماذا قال؟ هل قلت له ان. . .؟».

«نعم يا عزيزتي. بدا لي من صوته انه فقد اعصابه».
كانت ضحكة ليون وهو يقول ذلك قصيرة وكلها سخرية.
«انت. . . انت اطلعته على كل شيء؟».
لم تشعر فتيّ ان اظافرها اخترقت المحرمة. وتابعت تقول:
«من المؤكد انه فوجيء بالخبر».
«لا بل فقد صوابه اذا صح التعبير».
«هل غضب؟».
«هل يهمّ ذلك؟ لم تعودي الآن المقيمة المتواضعة في بيت اقربائك. فامامك الآن مجال لأن تصبحي سيدة على جزيرة زوجك. هذا ما اردته وهذا ما حصلت عليه. يجب اذن ان تبتهجي رغم انني اعرف ان دفع ثمن هذه المنافع لن يروق لك، ولكني مصمم على ان احصل منك على هذا الثمن كاملاً، بغض النظر عن مشاعرك».
توقف عن الكلام وكانت نظرته متحجرة ثم قال:
«ولكن مشاعرك لا تهمني لا بكثير ولا بقليل».
«شكراً لهذه الصراحة».
«على احدنا ان يكون صريحاً لأنني لا أثق بصحة اعمالك. ويصدق عليك المثل القائل ان ماء الجدول الهادىء يجري اسرع من ماء الشلال. وانظر اليك كمن ينظر الى لوحة ويتساءل عما تمثل هذه اللوحة».
اتى خادم واخذ يبحث مع هراكليون في تفاصيل بعض انواع الطعام، بينما أشغلت فتيّ نفسها بمطالعة لائحة الطعام دون ان تفضل نوعاً على آخر لعدم شعورها بالقابلية للأكل، وكلما ركزت نظرها على اسماء أطباق الأطعمة الفاخرة كلما تقززت منها.
«هل وقع اختيارك على طبق؟».
«لا أرغب كثيراً في الأطعمة الدخيلة. سأتناول الآن قليلاً من البطيخ الأصفر كبداية، ثم قطعة أو قطعتين من ضلع العجل مع بطاطس وفاصوليا».
والتفت الى الخادم وقال له:
«الشيء ذاته لي انا ايضاً، غير اني اريد جبنة بدل البطيخ».
«حسناً يا سيدي».

جمع الخادم لوائح الطعام وذهب وهو يستغرب كيف ان عروسين في شهر العسل يطلبان عشاء بهذه البساطة، خاصة وان العريس مشهور بماله الوفير.

ابتسم هراكليون ابتسامته الساخرة المعروفة وقال:

«ربما تساءل الخادم ما اذا كنا نتغذى بالحب فقط. ومن سخرية ان يتصور هؤلاء الناس الذين يلاحقوننا بنظرهم ان هذا اليوم اسعد ايام حياتنا وان العالم سيحسدنا عليه».

«ماذا سيكون رد فعل اخويك؟».

ارادت فني ان تعرف، وتذكرت زونار ودمتري بوجهيهما البرونزيين الجذابين. هذان الاخوان توأمان ويصغران هراكليون باربع سنوات. دمتري متزوج وامرأته في اليونان، اما زونار فقد ترمّل عندما فقد زوجته بعد سنة واحدة من زواجهما كما اخبرتها ابنة عمها. وتعرف فني ان الاخوة الثلاثة متحابون ومتماسكون وتخشى ان يتوتر الجو بينهم عندما يقدم هراكليون زوجته لهما، ويفاجئهما بفني وليس ببينلا عندما يصلان جزيرة بتالودس غداً، جزيرة الفراشات... واحست وهي جالسة مع زوجها هراكليون مفراكيس كأن بعضاً من تلك الفراشات كانت تطير في معدتها.

«ستهزهما المفاجأة بلا شك. كان كلاهما معجبين ببينلا، ولذا يجب ان تعلمي من الآن انهما لن يعاملاك بالالفة والصداقة كما يجب وعليك ان تجعليهما يعتقدان انك تحبينني حباً جنونياً فيريا لماذا لم اقذف بك من النافذة عندما احتلت محل بينلا. هكذا سيرتاحان بالاً لأن معتقداتهما اليونانية راسخة فيهما، وهو ان النساء يجب ان يضحين بانفسهن. واما انا من جهتي فلا أريد ان اعلمهما بانك رميت بنفسك في جحر الاسد لانك وجدت فيه عظمة سمينة على شكل زوج ثري بامكانه ان ينتشلك من حياة بسيطة وعادية، ومن غرفة نوم منعزلة عند عائلة اقربائك».

اجابته فني بحدة:

«اعتقد انك تصاب في صميم كبريائك اذا استغلتك امرأة».

«ان ذلك يغضبني».

شد على شفتيه من الغيظ وكانت نظراته سهاماً تطعنها في كل مكان.

«ستقومين بكل ما اقوله لك فيما يتعلق باخويّ لأنهما اقرب الى قلبي من

اي امرأة في العالم. فقد اعتنيت بهما وهما بعد طفلان بعد مقتل والدي في غارة. كنت ابحث عن الطعام لهما حتى في جذور اللفت النتنة كيلا يموتا جوعاً، وعندما كبرا تمكنت من توفير العلم اللازم لهما وهو ما لم احصّله لذاتي. ستجدينهما ألطف خلقاً مني يا سيدتي، وستجدين ان لهما طباعاً مصقولة ولكنهما سيهاجمانك كأشبال الاسود اذا اكتشفا حقيقتك. هل تحذيري هذا لك كاف؟».

كانت فني تنظر اليه وفي تلك اللحظة اتضحت لها حيويته وعظمته والقوة الكامنة فيه، تلك القوة التي اوجدت له ولأخويه منزلة مرموقة تحت الشمس. تصورت انه كان يعمل ليل نهار كالجبابرة قبل ان يتوصل الى هذا المركز، وهذا ما جعلها تشعر بأن عظامها تذوب كلما لمسها بيديه الخشنتين، وبأن قلبها يكاد يخرج من صدرها.

«لا اريد ان ادّعي اي شيء لنفسي. اريد ان اقول فقط وبدون اي خوف او كبت اني حللت محل بينلا لاني احببتك حتى الجنون».

وجدت نفسها تتساءل عن ماهية الحب وكيف او لماذا يغزو القلب فجأة. في احدى اللحظات كان هراكليون سبية من سبايا بينلا وفي لحظة اخرى انفتح قلبها هي ودخله هراكليون. وكانت هذه اللحظة لحظة شعور باحساس غامض ورهيب... ادخل في قلبها عذاباً بدل السلام والماً بدل الهدوء الرومانسي الذي يتغنى به الشعراء. كانت تفترض ان الحب جنون ولكنه عذب اذا ما تبادله اثنان.

«كلي هنيئاً واشربي مريئاً لانك ستدفعين هذا المساء رسم عبور الجسر الذي ادخلك حياتي».

ارتجفت يدها عندما تساءلت عن موقفه لو كانت بينلا معه الآن. هل تبتسم عيناه الذهبيتان؟ ام انه يحتفظ بالموقف نفسه في حضرة النساء؟

اجابته بكلمتين يونانيتين لتبين له معرفتها ببضع كلمات تعلمتها اثناء رحلتها الى جزيرة كريت في السنة الماضية، قبل ان تعرّف بينلا هراكليون على افراد عائلتها.

«هل عنيت هذا الطعام بكلمتيك اليونانيتين ام جسمك وسحره؟».

تورّدت وجنتاها وارتبكت فقلبت قدح الماء على الطاولة زاد ذلك من ارتباكها وقالت وهي تتلعثم:

«انت... انك تسدّ الطرق ولا تسهل علي القيام بدور الزوجة المحبة».

«قناع الحب غير ضروري ونحن وحدنا. هل تعرفين ان التمثيل المقنّع اختراع يوناني؟ انهم يعتقدون بان الجنس البشري نزل من الرمز جانوس ذي الوجهين ولا يعرفون ايهما هو الوجه الحقيقي».

«هذه فلسفة غريبة تعني انه لا يوجد طاهرون وان العالم مكون من مخلوقات تمثل ادواراً فقط».

«كلما تقدمنا في الحضارة كلما قللنا من الكشف عن انفسنا، لا عن الجسم بل عن النفس. خذي شخصك مثلاً. لك عينان يشبه لونهما لون الدخان وأيّ شيء قد يختفي خلفهما. وانا اشبه زوجاً في مسرحية وقد أواجه خطر التسمم على يد زوجتي مسالينا وهي والدة اكتافيوس وزوجة الامبراطور كلاوديوس التي حكم عليها بالموت بتهمة اخلاقية».

وضع الشوكة والسكين على الطاولة وطلب منها ان تمد يدها اليسرى. امسك بالخاتم الزمردي الذي باصبعها واداره، فاصبح حجر الزمرد داخل اليد والجزء الذهبي على قفا اليد. واشار الى تجويفة صغيرة في الذهب لها غطاء وقال:

«يوضع مسحوق السمّ في هذه التجويفة ويصب في قهوة المحب العاشق او في شرابه للتخلص منه. طريقة بارعة، اليست كذلك؟».

حملقت فنّي بالخاتم الذي رأت في جماله شيئاً غامضاً رهيباً.

«هل كانت بينلا تعرف شيئاً عن هذا؟».

سألته وهي مندهشة كيف لم تخبرها ابنة عمها عن هذا التفصيل المثير، ولماذا يقدّم اي رجل خاتماً كهذا لخطيبته؟

«كلا. بينلا لا تعرف شيئاً. طلبت مني خاتماً من الزمرد واشتريته وانا في فلورنسا حيث كنت في مهمة تجارية منذ سنتين. الحجر من اروع ما يكون ولم أرَ ضرورياً ان اطلع بينلا انها تلبس خاتماً تاريخياً كان يخص لوكريس بورجيا».

حبست فنّي انفاسها... آه من آل بورجيا، تلك العائلة العظيمة الشائكة التي كرست نفسها للغش والموت الغامض. وبحركة سريعة اطبق ليون غطاء التجويفة وادار الخاتم الى وضعه الطبيعي وكان يبتسم ابتسامته

اللعينة.

«من الأصول ان تحملي الخاتم على اصبعك، ولكن تدوخني جرأتك يا سارقتي الحلوة على لبس خاتم بينلا».

لم تهتم فنّي بكلامه الساخر مثلما اهتمت بعينيه العنبريتين وهو يتفحصها بوقاحة. لم تسمع في حياتها احداً يحيها بهذه التسميات، كأنها امرأة من النوع الذي يثير الاشمئزاز والفضول لدى الرجل.

«انا... انا... البسه فقط لـ...».

توقفت الكلمات في حلقها فتابع هو كلامها:

«لتجعلي تمثيلك اكثر اقناعاً. اؤكد لك يا عزيزتي انك امهر ممثلة عرفتها ان كان على خشبة المسرح او في الحياة اليومية. وكان من المفروض ان تصبحي انت ممثلة لا بينلا، لأني على يقين من انك تستطيعين القيام بدور المرأة التي لا تقاوم بنجاح منقطع النظير».

«تريدني ان العب هذا الدور بينما قلت لي مراراً اني اقوم به بدون تمثيل، واني ذات تأثير لا يقاوم».

«نعم، انت هكذا. وأجد متعة في رفقة ابنة ابليس».

كانت تفضل وخز الابر على نظراته القاسية.

«طريقة كلامك تؤكد لي انك تقصد الاهانة بي».

كان يؤلمها كثيراً ان ترى الرجل الوحيد في حياتها يعاملها كالتفاهة. كان تأثير الرجال الذين تعرّفت عليهم كتأثير كلمات مسطورة على سطح الماء. ولكن هراكليون يختلف عنهم بصراحته واخلاصه لمبادئه كاختلاف الماس عن الزجاج. موقفه منها يحزّ في قلبها ولكنها لا يجب ان تبقى عديمة الروح او الجرأة. انه يبحث عن شجار او معركة ويعرف كيف يلسع ويهين وكيف يولع الشرارة كلما تطلع فيها... وفي كل مناسبة يعيد على مسامعها بعبارات ازدراء واحتقار كيف تمكنت منه.

«الاهانة اكثر صدقاً من التملّق والاطراء. اجد لحم العجل هذا لذيذاً جداً. ما رأيك؟».

«لذيذ فعلاً!».

ولكنها كانت تأكل اللحم والفاصوليا دون ان تتذوقها. وتحولت بفكرها الى بينلا متسائلة عن موقفها عندما يعلمها ابوها عن زواج فنّي، هذا اذا

اعلمها. واما بينلا فانها ستبحث في الجرائد عن خبر تغيّب العروس عن حضور حفلة زواجها، وستفاجأ عندما تقرأ عن زواج هراكليون!

فني تعرف ابنة عمها. . . انها ستغضب لأن عريسها تحوّل عنها في الساعة والتجأ الى فتاة اخرى. من يصدق ان هراكليون في حفلة زواجه وقف الى جانب عروس لم تكن بينلا؟

ايعني هذا ان هراكليون لم يكن يعرف بينلا حق المعرفة؟ ام انه كما قال مراراً لم يهب قلبه لاي امرأة، هذا القلب الذي اقام حوله سوراً من حديد لا ينفذ منه الا اخواه التوأمان؟

وارادت فني ان ترى في وجهه انفعالاً ما ولكنه كان كالقناع الاغريقي. لا تشك في انه يشعر ان له احساسات، ولكن ظاهره لا يكشف اي شيء عن باطنه. مرّ بمختلف المراحل في حياته منذ ان كان صبياً معدماً حتى ارتقائه الى عرش الثروة والجاه وامتلاك جزيرة بكاملها. فهل يلتفت شخص مثل هذا الى فتاة عادية لها شعر براق وجسد كشجرة الصفصاف؟ لقد جرحته في كبريائه وسيجهد نفسه ليرغمها على دفع الثمن.

وعندما اقترب الخادم منهما بعربة الحلويات قال هراكليون باعذب صوت:

«الحلوى للحلوات! انظري الى هذه الفطيرة الشهية وشيء من هذا الكرز في الشراب، وما قولك في الكعكة بالكريما؟ على فكرة، انك لم تتناولي شيئاً من كعكة العرس يا عزيزتي، ام انا مخطىء؟».

«انا. . . انا لم استطع أكل شيء آخر. في الحقيقة لا أريد اية حلوى. . .».

«آه، لكني اصرّ يا سيدتي. حالما ترين تلك الحلوى اللذيذة في صحنك ستبتلعينها مثل الذئب الجائع. هذه فرصتك لتتذوقي اطايب الحياة». وقال متوجهاً الى الخادم: «نعم. امرأتي ستأخذ شيئاً من الحلوى».

قال الخادم:

«وربما تحب سيدتي هذه الحلوى بالدرّاق يا سيدي؟ نضيف عليها شراباً خاصاً مع القشدة وهذا يعطيها طعماً لذيذاً جداً».

لم يتح ليون لفني ان تتكلم فقال:

«حسنا. اعطنا منها. هذا يوم خصوصي في حياتنا ويجب ان يكون كل

شيء خصوصياً. اضف الى الحلوى هاتين الاجاصتين الجميلتين».

وفيما كانت عملية تحضير صحون الحلوى تسير بانتظام وبأناقة خادمي المحلات الراقية، كانت فني شاحبة اللون وهي تفكر كيف يحاول هراكليون ان يرغمها على أكل شيء لا تريده، ليمرضها جسدياً مثلما امرضته هي نفسانياً، وذلك بابعاد بينلا عنه وباحلال نفسها محلها. . . كان هراكليون قد اختار بينلا أحبّها ام لم يحبها.

انه لم يختر فني، ويذكرها بذلك في كل عبارة يتلفظ بها، في كل تنويه عن بينلا، في كل نظرة وفي كل حركة من حاجبيه وعينيه المتحجرتين.

انتهى الخادم من تقديم صحون الحلوى لكل منهما وذهب بعد ان انحنى لهما احتراماً. تناولت فني الشوكة والملعقة بيدين مرتجفتين.

«لها نكهة لذيذة حقاً. كلي الفاكهة بالكريما ولا تتظاهري بأن لك قابلية العصفور».

«كفاك قسوة!».

«اليست لهجتك هذه لهجة الأمر؟».

برقت عيناه ورأت فيهما فطرته اليونانية وراء واجهة بدلة جميلة وتمشيطة شعر عصرية. وفي هذه اللحظة القصيرة عاد هذا اليوناني الى عالم البؤس والفقر في اسفل دركات السلّم الذي ارتقاه حتى وصل القمة، ولا يصل الانسان القمة دون ان يعرف اسفل الدركات. وفي ذلك الوميض القصير رأت فني غريزة الادغال التي تسري في عروقه القوية. وفي اضواء المطعم تجسمت فجأة وحشية النمر الذي سينقض على فريسته.

«هذا انا يا سيدتي. انا هكذا. انا قاسي القلب، عصامي، بنيت نفسي بنفسي، يوناني لا أوهام له عن اي من الناس، ويجب ان تتعلمي من هذا ان كلامي في كل ما يتعلق بزوجتي يكون قانوناً وشريعة».

«لذلك يجب ان احشو معدتي بحلوى ان اردتها او لم أردها!».

«ويجب ان أكون أنا الآخر زوجاً لفتاة مزيفة مثلك ان اردت ذلك ام لم ارد!».

«الا توجد شفقة في قلبك؟».

«ولا ذرة منها طالما الامر يتعلق بك. كلي الآن والا تأخرنا عن المسرحية».

بدأت فيّ تأكل وهو يراقبها كأنه مفتش الاشغال الشاقة. سرح فكرها الى صوت الموسيقى البيزنطية الغريبة التي تصدر عن الاجراس ... والى تنوّع التطريز على فستان العرس. وسرح فكرها أيضاً الى السيارة السوداء التي ذهبت فيها مع إمرأة يونانية قريبة لزوجة دمتري وكان هذا أول لقاء بين الاثنين. تأثرت فيّ بلطفها وهي تمسك بيدها الباردة عندما توجهتا الى الفندق بعد عقد القران وكانت تؤكد لها انها محظوظة برجل محبّ كهذا.

اعتادت فيّ على الوحدة، فلم يكن لها من يعتني بها او يحبها وصار شعورها بالوحدة جزءاً من حياتها اليومية، ولكنها لم تكن جاهزة لمواجهة حقد واحتقار هراكليون عندما شد على ذراعها وقادها من المطعم الى السيارة التي كانت في انتظارهما لتقلّها الى مسرح اولدويتش.

كانا صامتين وهما في طريقهما الى المسرح وعندما نزلت فيّ من السيارة وجدت نفسها في الأضواء المشعة لمع معطفها مثل قشر السمك وبدت كأنها اوفيليا حبيبة هاملت التي جنت وغرقت... فيما كان زوجها بطوله المديد وسحره القاتل يقودها الى مقصورتهما.

سمع حفيف المعطف وهي تجلس... ولفت ذلك انظار الناس الذين رأوا في وجهها وجه أية امرأة الا وجه العروس. ومال زوجها نحوها فأحسّت بانفاسه الحارة وهو يهمس في اذنها عبارة هاملت امير الدانمارك:

«انا رفيع النفس ومنتقم وطموح».

لم تنظر فيّ اليه خوفاً من انهيار اعصابها. واخذت انوار القاعة تعتم تدريجياً وستائر المسرح تنفتح. وهناك على خشبة المسرح رأت قصر الأمير... والمشهد الذي سيرتفع فيه عالياً صوت وغضب شكسبير بفم ممثليه.

اتت فترة الاستراحة الثانية وفيها اصاب فيّ نوع من الجنون قد يكون بتأثير من اوفيليا التي عملت المستحيل لتكسب حب هاملت.

ارادت ان تخرج لحاجة ضرورية فاعتذرت من هراكليون وخرجت، وبدلاً من ان تذهب الى المكان الذي عنته لزوجها اختلطت بجموع الناس الذين كانوا خارج القاعة يدخنون ويناقشون المسرحية، وشقّت طريقها خارجاً. كانت الآن في الشارع. ولفّت معطفها حول جسمها وهي تسرع

الخطى متجهة نحو شارع ستراند. كان وجهها في ضوء السيارات الساطع بلون الجليد. كانت تهرب من هراكليون ولكن دون أمل في التخلص منه، ولكنها كانت حرة في هذه اللحظة على الأقل وبعيدة عن اهاناته.

عبرت الشارع الى الجهة المقابلة حيث نزلت بضع درجات أدّت بها الى شاطىء النهر. ووصلت الى انفها رائحة النهر الذي اجتذبها مثلما اجتذب اوفيليا من قبلها، ووصلت الى حافة الماء المعتم فاتكأت على افريز الجسر.

ادخل هدوء الليل والاضواء الناعمة شعوراً بسلام مؤقت الى قلبها، ولأول مرة طيلة اليوم. كان النسيم يضرب وجهها ويحرك شعرها... واحست ببهجة داخلية وهي في وسط جمال لندن القديمة الصامدة. وارادت ان تستسلم لهذا الهدوء. ولكن عندما نظرت الى الماء رأت فيه عينين تلمعان وسمعت صوتاً هادراً يختلط بضجيج حركة السير البعيدة. واحست بيد تلمسها ابرد من حجر الجسر البارد.

بكت فيّ على الفور... لأن جزءاً من شقائها كان بسبب بينلا التي هربت بجلدها وتركت هراكليون يستعمل السوط على جلدها هي. عندما كانتا زميلتي دراسة كانت بينلا دائماً تنجو من العقاب وتتورط هي بسبب صدقها وامانتها وعليها ان تدفع الثمن.

لا تفهم فيّ كيف، ولكن حدساً داخلياً انبأها باقترابه منها. الم تقل لنفسها عندما هربت من المسرح بانها حرة ولو الى حين؟ والآن سمعته يقول:

«كلّك مفاجآت. هل كنت تتبعين خطة حبيبة هاملت المأساوية؟».

ولكنها اجابت بجرأة:

«انا لست جبانة. كنت اريد ان انفرد بنفسي لبضع دقائق. ما كان يجب ان تتبعني. كنت أريد العودة».

علّق على قولها بسخرية هازئة:

«طبعاً. لن تملكي أي حق في أملاكي الا بعد ان تصبحي زوجتي فعلاً لا اسماً».

«لم اشتهِ ابداً امتلاك اي شيء منك أو افكر في ذلك».

«لا تقولي انك تريدين فقط ان تشرفيني بحبك لي!».

وضحك مستهزئاً ثم تابع يقول:

وعندما المسك تتبين كقضيب من حديد، واحس في هذه اللحظة بالذات كيف تتخشين لتتحملي لمسة يدي الخشنة على جلدك الناعم، وارجو ان تكون جزيرة بتالودس مكافأة لك بمستوى تضحيتك بنفسك... وبالمقابل ستدفعين الثمن على شكل ابن بغض النظر عن قبولك او رفضك. كانت عرائس اسبارطة يؤخذن بالقوة في معظم الأحيان».

لم تسمح فني لنفسها مطلقاً بان تدخل في مغازلات او لقاءات مع الشبان، وهو شيء عزيز على قلوب الفتيات ذوات العقلية العصرية مثل بينلا، ولذا فان في فتاة طاهرة بكل ما في الكلمة من معنى. انها لا تخاف اندفاعات هراكليون العاطفية. واكثر ما تخشاه هو ان يعاملها كفتاة من فتيات الشارع اللواتي ينتظرن على ارصفة شارع ستراند.

امسك بيدها وقادها الى السيارة التي كانت تنتظر عن قرب. دخلت السيارة على صوت حفيف معطفها الحريري، وعندما دخل هو الآخر لامس جسمه جسمها فأصابتها رعشة خفيفة. ضحك ضحكة خافتة وقال:

«وايها الضعف، اسمك حقاً امرأة. يقال ان ممثلاً ذا موهبة كبيرة كان دائماً يعيد هذا القول المأثور وهو مندهش. لم تكن دهشته في غير محلها!».

«ولك افكار سوداء فيما يتعلق بالنساء».

قالت ذلك همساً تقريباً لأن الزجاج الفاصل بينها وبين السائق كان منخفضاً، ولكنها بدأت تشعر بضعف في جسمها بعد يوم كامل من التوتر والبكاء والخوف. وتساءلت عما قد يقول اذا سمحت لنفسها ان تضع رأسها المثقل على كتفه القوية. هل سيبعدها عنه ام انه سيلاطفها كما يلاطف السيد عبدته؟ نزعت هذه الفكرة من رأسها لأن اياً من الحالتين تكون اهانة لها. واحتفظت بمظهر هادىء، متوقع وبعيد.

قال هراكليون تعليقاً على انتقادها له:

«الرجل يحكم على النساء من خلال اللواتي عرفهن يا سيدتي. عندما كنت اكثر شباباً لم يكن لدي الوقت لاكرسه لهن بسبب انشغالي طوال الوقت. كنت اكتفي برفقة امرأة اثناء السهرة ولكني لم افكر جدياً في الزواج الا بعد ان التقيت بابنة عمك في اثينا. ولكن بينلا اثبتت انها متقلبة وقدرت لي الاقدار ان اتزوجك بخدعة منك. واذا كانت لي هذه الافكار السوداء

فمن يلومني؟ ولكني كيوناني يجب ان ادفع ثمن هذه الصفقة الخاسرة. ليس فيك ذرة من جاذبية ابنة عمك ولكنك تعرفين كيف تلبسين ثيابها، ويبدو عليك مظهر البراءة والطهر حتى انه يخدع الرجل الذي يعرف انه مظهر كاذب. ومظهرك هذا يغطيك كما يغطي المعطف جسمك الرشيق».

ثم قال لها:

«بنيتك ليست بالقوة التي تمكنك من انجاب الوفير من الاولاد. لكني اكتفي بمولود واحد وآمل ان يكون ذكراً. لم ينجب اهلي الا صبياناً وامرأة زونار ولدت له صبياً ايضاً قبل ان تموت».

«لم يكن لدي اية فكرة بان زونار أب».

دهشت فني لجهلها التام بشؤون عائلته، واضافت:

«يبدو... لا اعرف».

«طائشاً بعض الشيء؟ يبدو مغازلاً ورجلاً يعتبر ان العالم سينتهي غداة الليل. هذا قناع فقط! ويعكس دمتري وعكسي انا فانه حظي بالحب... حتى ذلك اليوم المشؤوم عندما صدمت سيارته شاحنة واصيبت مرسيدس امرأته بجروح خطرة حتى انها ولدت الطفل على رصيف الطريق حيث جرى الاصطدام، واسلمت الروح داخل سيارة الاسعاف قبل وصولها الى المستشفى».

«هل عاش الطفل؟».

كانت فني متأثرة حقاً عندما نظرت اليه، ولكنه كان بلا تجاوب مع نظرتها وقال بقساوة:

«وفري عليّ التلاعب بعينيك. هل يهمك كثيراً ان يتألم احد افراد عائلة مفراكيس؟ انت لست من افراد العائلة. انت تطفلت على حياتنا الداخلية واصبحت دخيلة علينا، ولذا ارجوك ان تحتفظي بشعورك الحلو لنفسك حتى اليوم الذي تعطيني طفلاً فآخذه منك وارميك في الشارع لتخرجي من حياتي. تأكدي من اني سأفعل ذلك ومن انك ستتحملين عذاب الحرمان من سماع طفلك يناديك «ماما».

«أستقسو الى هذه الدرجة؟».

ولم تتحمل حقيقة هذا الواقع قبل حدوثه فوضعت يدها على فمها

لتكبت صرخة. كل شيء فيه يدل على البطش. . . قساوة تقاطيع وجهه، عرض منكبيه، وخشونة يديه.

«اليوناني بفطرته لا يتوقع شفقة او حباً من الحياة بل ولداً يعمل والده من اجله ليؤمّن له حياة أفضل. اما بخصوص ابن زونار فهو حي وتقوم على عنايته ممرضة في القصر. قد اجعل من أليكو طفل زونار وريثاً لي، ولكني افضل ان تعطيني انت وريثاً من لحمي ودمي».

وكان يتكلم وهو ملتصق بها تقريبا يبتسم ابتسامته الرهيبة.

«اخذت اشعر بحماس شديد بصدد هذه القضية، وكلمة حماس في اليونانية تعني ان الشخص المتحمس تسكنه قوة خارقة».

«ام قوة الشياطين؟».

قالت ذلك لان نظرة عينيه وهو يحدق فيها كانت كأنها شعلة من نار تهدد بحرق كل من تسلطت عليه، غير مبالية بأي توسلات للرحمة. كان اهل اسبارطة يخطفون عرائسهم في ظلام الليل دون ان يعرفوا ما اذا كنّ شقراوات او لهن قلوب حنونة، والمرأة تستطيع عمل شيء يعجز الرجل عن عمله. . . انها تحمل وتلد.

«كان الشيطان يعمل بكد واجتهاد طيلة اليوم، فلم لا الليلة ايضاً؟ قد تكون هذه الليلة ليلة هنيئة او ليلة صاخبة».

توقفت السيارة عند مدخل فندق باركوي تاورز. دخلا البهو وذهب هراكليون الى مكتب الاستعلامات فاخذ مفتاح مقصورته من الموظف المناوب الذي ابتسم ابتسامة توحي بانه يعرف انهما في شهر العسل.

«طابت ليلتك سيدي! طابت ليلتك سيدتي!».

فخّم الموظف كلماته وهو يتلفظ بها، ولكن فني لم تجسر على التطلع الى هراكليون وهما يدخلان المصعد الذي أقلّهما الى مقصورتهما. كان كل شيء هادئاً والانوار معتمة، اذ ان الوقت كان متأخراً كثيراً. أثّر صوت المفتاح وهو يدور في القفل في اعصاب فني، وخاصة بعد ان دخلا غرفة الجلوس واقفل ليون الباب خلفهما. اصبحت فني الآن منفصلة عن العالم الخارجي.

«هل تفكرين في لبس غطاء للرأس؟».

«لماذا تتكلم وتتحرك بعصبية؟».

«لست عصبياً البتة. انت عصبية. واتصور انك احدى الزوجات اللواتي يختلقن لانفسهن صداعاً كي يتجنبن . . ازواجهن عندما لا يرغبن في ذلك. لتنزل اللعنة على كل ألم تشكين منه ان كان ألماً في القلب او في الرأس».

خلعت فنّي معطفها ورمته على الديوان. ورأت زوجها يفتح زجاجة لا تعرف ما فيها. ولما افهمته بأنها لا تتناول مشروبا قال انه جنستغ وهو نبات صيني، وصبّ لها قدحاً منه. ارادت ان تشربه ليس حباً به ولكن لانها تريد ان يهدىء هذا الشراب اعصابها او يقوّيها.

«ما يلفت نظري فيك هو انك لست متأنقة ومتمسكة بدنيويات الحياة العصرية مثل بينلا».

كان يراقب كل حركة فيها: طريقة جرعها الجنستغ وطريقة حمل القدح في يدها وغير ذلك.

«اعتقد انك اختبرت الآن كل حيل لعبتك التي نفذتها فيّ، ولذا ارى ان توفّري على نفسك عناء اكتساب شفقتي عليك، والا تتظاهري بالفضيلة والتقوى. احتفظي بقواك يا عزيزتي».

توردت وجنتاها من طريقة كلامه ونظرته اليها وهو يتنقل بعينيه فوق جسمها كأنها قطعة زينة في الغرفة. قال لها بلهجة تقرب من الوقاحة:

«هذا وقت الذهاب الى الفراش. ارى ان تذهبي الى غرفتك. استعدي لاستقبالي. . . سأنضمّ اليك بعد دقائق».

تطلعت فنّي اليه وجمدت في مكانها بسبب ما رأت.

«ماذا. . . ألم تتزوجيني؟».

«نعم».

«اذن لماذا الانتظار؟ كنت متشوقة لتلبسي فستان عرس ابنة عمك، فحان الوقت لتكوني جاهزة لليلة عرسنا».

«انك لا تعني انك. . .».

كانت تعرف فني ان كلماتها قد تكون في غير محلها ولكنها يجب ان تقال، لأنها تعرف جيداً ان هراكليون جاد في كل ما يقوله. رفع حاجبه علامة للاستهجان وقال:

«اكره ضياع وقتي على ملاحظات تافهة واظن انك تعرفين ذلك.

وفستان نوم بينلا يلائمك تماماً وفي خلاف ذلك لن ابالي. . .».

«هراكليون ارجوك!».

كانت هذه الصرخة الاخيرة لمحكوم عليه بالاعدام، وبها تخلت فنّي عن كبريائها التي اقسمت ان تحتفظ بها حتى النهاية.

«يا عزيزتي فنّي، يجوز ان يؤثر كلامك فيّ، ولكن كان عليك ان تأخذي في عين الاعتبار نتائج فعلتك هذا الصباح. . . يأتي الليل في آخر النهار ويتلاشى الليل عند الفجر. لا مهرب من الحياة والموت، ومن الديون التي تحملها. اذهبي الى غرفتك!».

تناولت معطفها وذهبت دون ان تلتفت وهي تجرّه وراءها.

كانت الغرفة فخمة ولكن فنّي كانت غارقة في افكارها وهي تخلع ثوبها او تمشي على البساط الناعم نحو غرفة الحمام لتغتسل وتنظف اسنانها. وخرجت من الحمام فلبست قميصاً حريرياً للنوم بلون المشمش تطرزه رسوم الورد.

وتولاها شعور لا تعرف طبيعته، قبل ان تواجه ليون. كانت قوى وحشية مجهولة تكمن في زوجها، ولا تتوقع ان يؤثر فيه لون جلدها الصدفي او شعرها الذهبي المنسدل على كتفيها او جمال رموشها وهو كل ما يتمناه رجل قوي في امرأة.

عكست المرآة صورة الانوثة الناضجة فيها. . . وما تملكه هذه الصورة من وجه وجسم هما ملك لهراكليون هراكيس الذي سيأتي الآن ويطالب بملكه. . . لو ان الحب هو اساس هذا التملك. . . صعدت من صدرها زفرة متجسّدة ورأت في عينيها حزناً واسى. انه سيستعبدها ولن يحبها، وبغير ارادة منها التفتت الى السرير المغطى بجلد الغزال الذهبي، وفيه ستكون الليلة الاولى من زفافها امّا هنيئة او جهنمية.

كانت واقفة بجانب النافذة تنظر الى النجوم عندما سمعت باب غرفتها يفتح. اخذ قلبها يدق بسرعة واحست بقوة نبضاته بينما كان هراكليون يقترب منها.



اعتقدت فنّي ان قلبه لان اخيراً لدى سماعها شيئاً من النعومة في صوته، ورفعت عينيها اليه بأمل ولكنها رأت وجهاً ذا تقاطيع قاسية لا رحمة فيها دلت تشنجاته على الفطرة الوحشية التي زاد في بروزها لون عينيه العنبريتين ولون شعره الاسود.

كانت عيناه تجولان فوق جسمها بأجفان متثاقلة وقال وهو يتأملها:

«لون جلدك شاحب كلون زنبقة الماء. واذا رآى اي رجل مظهر الطهر الذي يبدو عليك لاعتقد انك امضيت حياتك بين اربعة جدران في دير».

وشدّها فجأة الى صدره فأصابتها انتفاضة قوية من وخزات الحب والخوف معاً.

«كيف تفعل ذلك وانت لا تحبني؟».

كان صوتها صادراً عن قلب متألم لانها تعرف ان احساسه قائم على حس الملامسة فقط دون الحس بالحب، او حتى العطف الذي تنمّ عنه عينا الرجل او صوته في مثل موقفه هذا.

«وما علاقة الحب. . بهذا؟».

ضحك بسخرية وهو يمرّر اصابعه فوق جلدها الناعم.

«ستكونين عبدتي لألف ليلة. . . بعدها اودّعك!».

ابعدها قليلاً وما رأته في عينيه زاد من تسارع دقات قلبها. لم تر فيهما شيئاً كهذا من قبل. كانت عيناه قطعتي ذهب تتألقان في وجه برونزي.

رفعت فنّي يدها كأنها تريد ان تبعده عنها وقالت:

«ارجوك. . .».

وعلى من يريد المسامحة ان يقرع الباب أولاً وينتظر جواب الشيطان ثانياً».

قال ذلك وهو يجذبها اليه اجابته معلقة:

«اي كمن يقرع على حجر».

اخذ يدها ووضعها على صدره قائلاً:

«بكل تأكيد. على باب من حجر».
ولكنها أحست بحجر له شعر وفيه دفء وله لون.
«انك تتصرفين كالبنت البكر التي تجد نفسها لأول مرة مع رجل».
«انت... انت تعرف اني...».
«لست متأكداً بعد».
حملها بين يديه ومشى بها كالنمر.

٣ ـ الاخوة الثلاثة

كانت اشعة شمس الصباح تنعكس على شعر فنّي الذهبي الذي كان يغطي جفنيها وجزءاً من الوسادة بدأت تتحرك وفتحت عينيها على غرفة غريبة يملؤها اثاث فاخر. ولم تع بعد حقيقة واقعها من تأثير السبات، ومضت لحظة فطنت بعدها الى ما هي عليه فانتصبت جالسة كالمذعورة وسحبت غطاء السرير لتستر جسمها.

تذكرت كل شيء الآن... لم تعد تلك الفتاة الساذجة كما كانت بالامس.

وفيما كانت على هذه الحال غارقة في التفكير فتح هراكليون الباب فجأة وحيّاها بلغته قائلا:

«كالميرا، صباح الخير».

اختلط عليها الامر وارتبكت واخذت تتأكد من ان غطاء السرير يلفّ جسمها كليا. وشعرت بأن شعلة من نار كانت تخرج من عينيه بدلا من نظره انسانية. كان هراكليون واقفا امامها ويبتسم ابتسامة من رأى شيئا يسلّيه، عندما رأى كيف كانت تحاول ان تستر امامه فحوّل نظره عنها الى الوسادة. ثم اخرج شيئا من جيبه وبحركة عادية رماه على الوسادة. كان هذا الشيء يلمع لمعانا قويا في ضوء الشمس. قال هراكليون:

«يجب دائما مكافأة العذارى. اشكرك».

نظرت فتي الى الشيء وغلى الدم في عروقها وكأنه يشتريها. وذكّرها هراكيلون الداكن الوحشي بالبرابرة المتعطشين الى النساء.

«ألقي نظرة عليه. قد تجدين متعة فيه».

«كما وجدت متعة عندما تأكدت انه لم يمسّني رجل من قبل؟».

رأى عاصفة في عينيها ورأت فيه قوة وحيوية بالرغم من ليلة طويلة دامت حتى الفجر.

«اصارحك باني ذهلت جدا عندما وجدتك طاهرة برغم وصمة عقلك المخادع.»

احمر وجهها وقالت:

«هل يهمك هذا؟»

مدّ يده ووضعها على كتفها.

«ولا تفعل ذلك. لا تلمسني هذا الصباح».

ضغط باصابعه على كتفها ثم سحب يده:

«انظري الى هديتك. انا اكيد من انها ستعوض بعض الشيء».

مدت يدها ببطء وتناولت السوار الذهبي المشغول برسوم الكرز والازهار وبرؤوس الثورية صغيرة. كان السوار اغريقي الشكل وربما تحفة تاريخية قديمة ونادرة.

«هذا رسم، للرمز الاغريقي للحب. شغل التطريز المعدني بالخيوط الذهبية ممتاز، وجذاب ايضا. الا ترين ذلك؟»

«جميل جدا حقا. وملائم لفتاتك العبدة».

«طالما انت تعرفين نفسك. هل تحبين تناول الفطور على شرفة المقصورة هنا ام في المطعم؟».

«الفطور هنا سيكون جميلا».

تناول يدها وألبسها السوار ولكنها لا تدري لماذا شعرت بشيء من توتر الاعصاب. نظر اليها وهي تبكل السوار بيدها الاخرى.

«سيأتي أخواي حالا بعد الفطور».

ضغط باصبعه على معصمها وقال:

«اتتذكرين ما قلت لك؟»

«نعم يا سيدي. يجب ان اقوم بدور العروس البلهاء لاقنعهما أن فقدانهما لسينلا ليس مصيبة كبرى. واذا امكن يجب ان اظهر بمظهر الزوجة المتحفظة والمتفانية».

«يجب ايضا ان تتعلمي استعمال اسمي... كما استعملته الليلة الماضية».

«هل انا استعملته؟»

اصابها ارتباك كبير. فلتكن السماء في عونها. من يدري اذا كانت قد تهورت وتلفظت بعبارات اثناء تلك الساعات وهي وحدها معه.

لم تهتم بأي شيء في العالم في تلك الساعات... والآن ها هي تتحرق

ندامة وخجلا مما قد تكون تفوهت به.

«لن تعرفي ابدا. بالمناسبة، هل تريدين خادما ليساعدك في الحمام؟»

صدمها هذا السؤال فصرخت في وجهه:

«ماذا تقول؟»

«انت حقا لغز غامض».

رفع وجهها بيده وعرّضه الى الشمس ونظر اليها نظرته القاسية وقال:

«انت تعرفين عن الرجال نصف ما تعرفه بينلا، ومع ذلك خدعت حتى عمّك لانك كنت مستعدة لتحمّل جميع المشاق لتصلي الى الثروة، وارجو ان تتمكني من تحمل الثمن الذي سأجعلك تدفعينه لي. وقاومت مقاومة شيطانية الليلة الماضية.»

«هل يجب ان تذكرني... بالليلة الماضية؟»

عليها ان تحافظ على عزة نفسها بكل الطرق. قالت:

«انت اقوى مني بكثير... ولا حيلة لي الا الاستسلام».

«قد يكون هذا صحيحا. وفي كل الاحوال كانت ليلة غير متوقعة، وما دمت لي فستكونين ملكا لي بكل ما في هذه الكلمة من قوة معنى... اي انك ستكونين امرأة ليوناني لا تنظر مطلقا الى رجل غير زوجها الا اذا رغبت في ان تضرب. ومثلنا اليوناني المشهور يقول: «اضرب امرأتك كما تضرب سجادتك».

«ما اجمل طرقكم...!»

«الرجال اليونانيون ليست لهم تلك العواطف الخداعة الموجودة في غيرهم من الرجال. نحن نعني ما نقول، ولا ننقص شيئا مما نقوم به».

«انا مقتنعة بذلك».

كانت ضحكته خشنة وفيها حشرجة.

«انا ذاهب الى غرفة الجلوس لأطلب الفطور. لا تتركيني انتظر».

«كلا يا باشا».

«ماذا؟ ماذا قلت؟»

مال عليها ووجّه لها سهامه الغاضبة. ولكنها قالت وهي تبتعد عنه قليلا:

«انت سمعت ما قلت».

ويا للسموات. لماذا تنظرين اليّ هكذا. تستطيعين ان تسميني باسماء من عندك ولكن ليس امام الناس وخاصة امام اخويّ».

تركها وخرج واغلق الباب على بضاعة ثمينة مؤتمن عليها تتمثل في فتاة نحيفة تزوجته، كما يعتقد هو، لثروته التي كدّ طوال حياته من اجلها ولجزيرته الخاصة ايضا.

انسلت فني من فراشها ودخلت الحمام حيث وقفت تحت الرشاش مدة من الزمن لتستعيد قواها ونشاطها. واخذت تفرك جسمها بالصابون الذي اعطاها حيوية هي في حاجة اليها. ولاحظت انه بالرغم من عراكها مع ليون فانه لم يستعمل قوة يديه والحاق الضرر بها.

كم امرأة دخلت حياته؟ كان في اواخر ثلاثينياته وحيويته لا تدل على انه عاش عيشة المتنسكين.

هل دخل في غراميات مع بينلا؟ هذا الشيء الوحيد الذي لا تستطيع فني ان تواجه حقيقته او ان تواجه احتمال احتواء بينلا بين ذراعيه مثلما احتواها هي. الم يقل لها انها لا تعرف عن الرجال نصف ما تعرفه بينلا؟ هذه الملاحظة بالذات تدل على ان هراكليون يعرف بينلا معرفة عميقة.

وهنا بدأت الغيرة تنخر في عظام فني. هل قارن بين الاثنتين ووجد ان قلة خبرة فني فضيلة وتسلية معا؟ لن تعرف هذه الحقيقة مطلقا لانها ليست الا قطعة يستمتع بها متى عنّ له ويلقيها جانبا متى ملّ منها.

خرجت من تحت الماء واخذت تفرك جسمها بالمنشفة محاولة ان تبعد عنها هذه الافكار. وعادت الى غرفتها فلبست الثياب الحريرية الداخلية التي اشترتها بينلا بدراهم هراكليون والتي اختارتها لرحلتها الى اليونان مع تنورة جلدية زهرية اللون وقميص له ياقة واسعة. كل ذلك يلائم مقاسها الا الحذاء الذي كان مقاسه اكبر من مقاس رجلها فحشته بالورق كي يبقى في مكانه.

بدأت تمشط شعرها وكان يتألق فأخذت تحملق في المرآة كأنها تراه لاول مرة. كانت عيناها خاليتين من ذعر البارحة وداخلها ما زال يشعر بالخوف والانجذاب معا لمجرد التفكير بانها جزء من حياة هراكليون مفراكيس. لقد اصبحت الآن قطعة منه ولا شيء في العالم يستطيع ان يغير ذلك. هراكليون الرجل الاول والاوحد الذي عرفها ودخل حياتها. وهما مرتبطان

الآن وسيبقى هذا الارتباط ما دامت بلا طفل.

فبي تحب هراكليون الآن اكثر من البارحة، ولكنها تخشى ان تحمل الآن، واذا ولدت له طفلا ذكرا فانه سيرذها كما اكد لها مرارا وتكرارا وتأكيده يوناني لا رجوع عنه. هذه هي الفكرة التي تعذبها في قلبها وفي عينيها. كانت جاهزة لتلحق بزوجها على الشرفة ولكنها انتظرت بضع ثوان ريثما تهدىء من اعصابها.

كانت مقصورتها تطل على شارع كثيف الحركة في لندن وعلى زنار اخضر من الاشجار وحديقة عامة واسعة. كان جالسا الى طاولة من حديد يطالع جريدة الصباح والقى نظرة عابرة عليها وهي تتجه نحو الشرفة وتنظر الى لندن التي ستبارحها في وقت قصير راحلة الى جزيرة في بحر ايجه. . . البحر المدهش الذي ولدت من زبده افروديت رمز الحب.

نظرت فبي الى السوار الذهبي وفضلت ميزته على ميزة عقد اللؤلؤ.

«ليس لدينا الكثير من الوقت يا فبلا».

لاول مرة يذكر اسمها بدون تصغير وبدون اية رنة خاصة في صوته ولكن برزانة. دهشت قليلا ولكنها لم تستغرب.

«تحسنين صنعا اذا أكلت لان المسافة بالطائرة الى اليونان تدوم بضع ساعات ولا يقدمون الا ساندويش وقهوة على الطائرة. وانا لا اريد ان اتأخر عن موعد عمل في بتالودس».

«الا تتوقف عن العمل؟»

سألته وهي تصب لنفسها فنجانا من القهوة.

«اتوقف اذا استطعت. كلي شيئا من الكلى، انها تقويك».

قال ذلك وهو يقطع بعضا منها بالسكين واضافها على طبق البيض الذي كان امامها.

«شكرا».

اكلت جيدا لانها وجدت انها كانت تحس بالجوع. انتهى هراكليون من الاكل ورأته يقرأ في الصفحة المالية من الجريدة. وكان حول معصمه ساعة لها قشاط من الجلد الاسود وكان شعره الاسود ملتويا عليه. وحينذاك احست بقشعريرة تسري في عروقها. هاتان اليدان طوقتاها واخضعتاها وبالرغم من هذا الشعور كانت هذه الذكرى طعنة

في عواطفها.

لا يوجد اساس لطيف للحب. . . والحب اكثر الخبرات الانسانية فطرة.

حاولت فبي الا تطيل النظر الى هذا الرجل الذي جعلها تشعر بهذه الطريقة. . . وهي ان حبها الجنوني له لا ينكر. والذي ترك عليها بصمات لا تنسى لشخصيته الفذة.

رفعت نظرها فرأته ينظر في عينها فبلبلت افكارها وتسارعت نبضاتها وهي على وشك تناول الخبز المحمص مع المربى.

«يسرني ان اراك تأكلين يا سيدتي. ربما تنسيم الصباح. . .».

قال ذلك وهو ينظر الى جلدها وشعرها الحريري بعينين ذابلتين فتأثرت بذلك.

«كان جهلا غريبا ان أظنك تافهة. عندما كنت اراك في بيت عمك نادرا ما كنت الاحظك. . . هل شعرك كان السبب؟ ربما لان تسريحته كانت تختلف، خاصة في مؤخرة عنقك؟»

اومأت برأسها وقالت:

«لا تستطيع فتاة في مكتب ان تترك شعرها متهدلا لانه يزعجها كلما انحنت على الآلة الطابعة. ولذا اعتدت على تمشيطه ململما على رأسي».

«وكما اعتدت عليه كيلا تنافسي ابنة عمك ايضا. ما دمت معي فاني افضل هذه التسريحة. اريد ان يعجب بك الناس ويعجبوا بالجمال الفذ الغريب الذي في عينيك. ولكني احذرك: يمكن للرجال ان ينظروا، لا ان يلمسوا».

«تتكلم وكأني اريدهم ان يلمسوني!».

كان في صوتها غيظ ولكنها سرّت داخليا لاطرائه جمالها. الا انها تعلم علم اليقين كيوناني يجب ان يعتز بما يشتري ماله، ولكنها لا تبالي بهذا الاستنتاج. اطراؤه هذا بمثابة باقة ورد لها!

«آه، نسيت يا عزيزتي انك لا تميلين الى الملامسة وتفضلين لو ان فيك شيئا يسبب النفور لمن يرغب في ان يمسك. ولكن لسوء حظك اجد ان قوامك الرشيق خلاب. . . لا، لا، لا حاجة بك لان تخجلي. وربما تأكدت من ان آمالي فيك لم تخب. وجدت متعة معك، ولذا تستطيعين ان

تأكلي هذا الطعام اللذيذ بضمير مرتاح وان تلبسي تلك الثياب الجميلة مطمئنة انك اكتسبتها حلالاً».

«ليون. . . ارجوك».

«هكذا تلفظت باسمي الليلة الماضية. استمري في مناداتي هكذا وتأكدي من ان شقيقيّ سيتقبلانك».

اختنقت من الغيظ ولكنها اجابته باقتضاب:

«انت تؤذي بقدر ما يؤذي الاسد».

«صحيح، ومن المستحسن الا تنسي ذلك أبداً. آه، فنيلا في عرين الاسد. هل تأملين مني ان آكل من يدك؟»

«لا امل لي في ان اعيش هذه المدة الطويلة».

«ستعيشين المدة الكافية لتقدمي لي ما اريد».

تناول دراقة بيضاء واخرج منها نواتها وقدم نصف الدراقة لفنّي. وسال عصير الفاكهة من بين اصابعه على يدها وهي تتناول القطعة منه، وكالعادة كان لكل حركة رمز ومغزى غريبان. كل شيء فيه اغريقي عتيق متصل بالاساطير الوثنية القديمة: طقوس في الحب والسحر والحرب، بلاطات كبيرة لتقديم الذبائح في الشمس المحرقة، شجر الزيتون وشجر التين اللذان ينموان على ارضه القديمة القاسية.

عندما سمعا جرس المدخل يدق، أحسّت فنّي بتوتر، ولما نهض هراكليون عرفت انه سيدخل اخويه الى غرفة الجلوس فلملمت شجاعتها وتبعته. لا مهرب من مقابلتهما ولكن بدون الاعتماد على حب من ليون ليساندها امامهما.

فتح هراكليون الباب الرئيسي وفي الحال طوّق احدهم الآخر بأذرع قوية وكان العناق حارا كما لو انهم كانوا مفترقين عن بعضهم منذ شهر لا منذ يوم.

هتف زونار وهو يضحك مبتهجا:

«هذا هو عريسنا، رأس بيتنا والزوج الجديد! كيف سارت الامور يا شقيقي؟»

دلت اجابته المقتضبة المكونة من كلمتين فقط على ناحيتين فيه: ناحية رجل ذي سلطة يأمر وينهى وهو الوجه الذي تعيشه فنّي وناحية رجل

عطوف لم تسعد به بعد.

دخل التوأمان الى الغرفة وبدت فنّي قزما امام طولهما وشاحبة بالمقارنة مع لونهما. التشابه بينهما كبير ولكن ليس الى الحد الذي لا يميز بينهما. اما عيونهما البنية فهي اكثر وداعة من عيني اخيهما هراكليون. طلعتهما بهية والنظر اليهما اخف وطأة من النظر الى اخيهما.

اخذ الاثنان ينظران اليها، وقال دمتري:

«انت تختلفين عنها. درجة اقل؟ او درجة اكثر. . .؟»

اما زونار فقال بعد ان تفحص شعرها ووجده بلون الحنطة الذهبي:

«هذه فتاة مختلفة. من النوع الجميل المادي».

كانت فنّي واقفة لا تبدي حراكا لتدافع عن نفسها في وجه التوأمين ورأيهما فيها، وتحت سطوة عيون اربع تقيّمها من الرأس الى اخمص القدم. بينما بدا هراكليون وكأنه غير معني بما يجري حوله وهو يشعل سيكارا كما لو كانت فنّي ماثلة امام محكمة.

وفجأة قال دمتري وهو في حالة ذهول وغضب:

«لا بد ان خطأ ما قد وقع، ما هو؟»

اجابه زونار وهو يحدق في فنّي التي لاحظت ان نظرته اليها تختلف عن نظرة اخيه دمتري وان في تلك النظرة شيئا من الكآبة:

«على العكس. ارى ان شيئا حسنا قد حصل».

تقدم نحوها ومد يده وقال مبتسما:

«هل تسمحين لي بتقبيل يدك وبالترحيب بك في عائلتنا؟»

لم تتمكن فنّي من قول اي شيء او الاتيان باي حركة لان زونار لم يمهلها فاسرع ورفع يدها الى شفتيه وقال:

«انت جميلة جدا. . . شعر ذهبي وجلد بلا عيب! شيء نادر في عصرنا هذا عندما تدخل المرأة عند المزيّن بشكل وتخرج بشكل احلى واجمل».

ولكن ما ان لمست شفتا زونار يدها حتى سحبتها من يده لانها أحست بتحوّل خطر فيه: تأكد لها ان زونار مفراكيس انجذب اليها.

نظر زونار الى اخيه هراكليون الذي كان دخان سيكاره يغطي وجهه وقال:

«انك رجل محظوظ يا هراكليون».

«انا محظوظ؟»

«طبعا يا شقيقي. من من الرجال يفقدون قطعة من الفضة ويقعون على سحر الذهب؟»

«انا مسرور لانك اعجبت بعروسي. همها هو ان تحظى بموافقة اخوي»

اذهلت عبارة «موافقة» دمتري الذي قال:

«موافقة؟ هل يعني هذا ان علينا ان نقبل عوضا عن التي كنت مخطوبا لها رسميا؟ هذه محالة...»

«كلا، ليست محالة لاننا تزوجنا البارحة في الكنيسة واصبحنا زوجين حقيقيين الليلة الماضية. فلا اريد المزيد من الكلام!»

«بل هناك الكثير من الكلام. الاشياء لا تحدث بهذا الشكل»

لكن هراكليون قال متهكما:

«يبدو انها تحدث حتى لليونانيين. والمرأة هي المرأة مهما قلنا، وهذه المرأة تكفي كل احتياجاتي التي تنحصر في وجه جميل امامي في الصباح وعند آخر النهار».

في تلك اللحظة نهضت فني لتخرج من الغرفة وتترك الحرية للاخوة مفراكيس ليناقشوا هذا الامر فيما بينهم. اقتربت من هراكليون وطبعت قبلة على وجنته وقالت:

«من المستحسن ان أجمع أمتعتنا للسفر».

«تحسنين صنعا يا فنيلا. أرأيت كيف هي مطيعة يا دمتري؟»

اما زونار فقد علق على ذلك قائلا:

«ارى انك روضتها».

ثم تبع فني وفتح لها الباب والقى نظرة داخل غرفة النوم وكانت تشعر ان عينيه متجهتان نحو سرير النوم.

اغلقت الباب وراءها ووقفت وهي لا تعرف ماذا تفعل. وجدت نفسها في وضع حرج. فمن الجهة الاولى يعترض دمتري على وجودها بينهم ومن الجهة الثانية زونار مال اليها. آه من هؤلاء اليونانيين! انهم لا يقفون عند انصاف الطرق كالانكليز الذي يجعلون الامور تسير في مجراها الطبيعي ويتركون للمتزوج ان يهتم بأموره. لكن هراكليون اخ فذ وعلاقته بأخويه تختلف بصورة فذة ايضا.

كانت في حالة عصبية ولم تدر ما تعمل سوى ان تشابك اصابعها وتلوي بعضها ببعض. تعلم تماما ان هراكليون استعبد نفسه وحرم نفسه من كل شيء ليؤمن لهما لقمة العيش وقاسى الجوع والبرد في اواخر الحرب واستنفد قواه ليضمن لهما حياة افضل. ولا تشك فني ان اخويه يعبدانه ويتمنيان له كل سعادة مع زوجة تصلح له.

في رأس دمتري يصعب التعويض عن بينلا لان هراكليون هو الذي اختارها بنفسه. ولكن زونار يرى في فني المرأة الحادثة الجميلة.

هل هي جميلة؟ وقفت امام المرآة وتفحصت نفسها بايجابية. مظهرها جميل واشقر وانكليزي وربما هذا ما جذب زونار الذي طالما يحوم حول النساء منذ وفاة زوجته في الحادث لكي يرفّه عن نفسه، ولكن يجب ان يميز بين علاقته بها كزوجة اخيه وعلاقته مع امرأة لعوب. ففني زوجة هراكليون وملك له وسيقيم الدنيا ويقعدها اذا هي تساهلت مع زونار وافسحت له المجال ان يتمادى معها. اشتهاء امرأة الاخ لعنة في العقيدة اليونانية ولا يستطيع هراكليون ان يتصور ان يشاركه رجل امرأته.

تناولت مشطا وبدأت تسرح شعرها الى ان اعطته شكل الجرس الذهبي الذي اشتهرت به. ووضعت بعد ذلك ثياب النوم في اصغر الحقائب الثلاث. وفيما هي تقوم بذلك وقع نظرها لاول مرة على رسم اسد يزأر وتحته حرفان: ب.م.

لا تملك شيئا! لا الرجل، ولا الثياب، ولا الجزيرة، ولا حتى الحقيبة. ولقبّها دمتري بالمحتالة، وهذا صحيح! لا تملك ذرة من الحق لتبقى هنا ولكن لا تجد مكانا تلجأ اليه. فالعم دومينيك لن يقبلها في بيته بعد عمليتها الجريئة التي فيها حلت محل ابنته بحيلة اجرا.

فتح الباب ودخل هراكليون ليقول لها ان البواب آت لينزل الحقائب، وسألها اذا كانت جاهزة. تناولت سترتها التي تتماشى وتنورتها وحقيبة يدها واحست بميل هستيري للضحك ولكنها فزعت لأن الضحك المفرط يؤدي في النهاية الى البكاء. وقالت:

«نعم، انا جاهزة، وكل شيء جاهز».

خرجت من الغرفة التي فقدت فيها أعز ما لديها مع هراكليون محطم

القلوب.

وتوجه الأربعة في سيارة سوداء فخمة الى مطار الهليكوبترات في جوار لندن حيث الهليكوبتر القرمزية الخاصة بهراكليون تنتظرهم ليستقلوها في رحلتهم الى اليونان. وهي الهليكوبتر التي يستعملها في روحاته وغدواته بين جزيرته واماكن اعماله.

وضعوا متاعهم في أماكنها المخصصة لها وكانت فنيّ اول الصاعدين الى الغرفة ذات الاربعة مقاعد. اجلس زونار فنيّ في مقعد بجانب النافذة لتتمكن من رؤية كل شيء وجلس هو بجانب اخيه دمتري. فابتسمت له شاكرة وانتظرت زوجها ليأتي ويجلس بجوارها.

سألها زونار اذا كانت مرتاحة، والتوت شفته قليلا ربما بسبب جوابها اللطيف له. اما دمتري فكان ينظر اليها غير مصدق انها آتية معهم، ربما لأنه اكثر استيطانا من زونار ولذا اكثر تأثرا بالصدمة. يرى انها مستهترة وقد لا يختلف موقف زوجته نحوها عن موقفه. ولا تدري فنيّ كيف ستتصرف معهم، وتعتريها من حين لآخر رعشة خوف من مصيرها المجهول، اهو الجنة او الجحيم؟

اتى هراكليون واخذ الكرسي الملتصق بكرسيها وسألها:

«هل اعصابك متوترة؟ هل طرت في هليكوبتر قبل هذه المرة؟»

هذه هي المرة الاولى في حياتها وتمنّت ان يمسك زوجها بيدها فيما بدأت مروحة الهليكوبتر تدور وتهز جسم الطائرة التي اخذت في الارتفاع وطارت فوق نهر التاميز ومرت من فوق ابراج وستمنستر القوطية. شعرت بدوار في بضع الدقائق الاولى ولكنها عندما رأت هراكليون يفتح حقيبة صغيرة ويخرج منها وثائق ينشغل بمراجعتها بهدوء وكأنه في مكتبه، صممّت ان تستمتع بالرحلة الى اقصى حد. وصل الى اذنها صوت دمتري وزونار ولكنهما كانا يتكلمان باليونانية ربما عنها بدون ذكر اسمها، وسمعت صوت زوجها يسألها:

«هل استرخت اعصابك الآن، ارى التنقل بالهليكوبتر انسب بكثير من الطائرة. هل تعرفين اننا نستطيع ان نهبط على سطح القصر؟»

قالت مبتسمة: «كلا. لا اعرف الا القليل عن عالمكم بالرغم مما تفكر فيّ».

«لكني متأكد من انك لا تجهلين تماما ما كتبته الصحافة عن المملكة القائمة بذاتها والتي اسسّتها عائلة مفراكيس على جزيرة بتالودس. نحن معروفون باننا عشيرة عصامية تكره ان يدخلها الغرباء».

«وانا غريبة، داست اعتاب بابكم بدون دعوة».

«لا تنسي يا سيدتي ان تأتي اليّ مستنجدة اذا رفضك احد من عائلتي».

«تعني دمتري، اليس كذلك؟ حدسي يقول لي انه صلب برؤيتي ولا يبدو انه سيتسامح معي».

«لا تلوميه. الظروف حتمه اكثر من زونار الذي يرى السعادة شيئا اسود والذي يقطف الثمار من اشجار الغير بشراهة. ولا تنسي انه اصبح الآن اخاً لك!»

«لن انسى ذلك. لكني احتاج الى صديق واحد على الاقل».

«صديق؟ لا تتظاهري بانك بحاجة الى الودّ. كنت تعرفين المخاطرة ونتائجها عندما نذرت نفسك زوجة ليوناني. نحن شعب لا يعرف اللطف، ولذا ابعدي عنك أفكار الاسى».

كانت نظرته بقساوة كلامه. قرّب فمه من اذنها وقال بصوت خافت:

«لا اعتقد ان حماقتك دفعتك الى توقعات رومانسية كبيرة... او انك املت في ان يكون زواجنا زواج مصلحة».

«كلاهما توقعات زائفة. لم افكر في حينه الا بالظرف الذي كنت فيه عندما اصبح التراجع مستحيلا، وفعلتي تشبه من يحاول لمس النار بيده معتقدا انها لا تحرقه».

«لست طفلة يا عزيزتي. فمحاولة اللعب بالنار ومجابهة الاسود اعمال صبيانية حمقاء. انها اعذار لا تحجب نواياك عن الناس. فكفي عن اية محاولة لاقناعي بانك لم تدري ما كنت تفعلينه. ما عليك الا ان تقطفي ثمار نجاحك. اظهرت نفسك بمظهر ملاك. وبرهنت الليلة الماضية على قوة اقناع من نوع آخر».

«انت راضٍ اذن؟ يسّرني اني لم احرمك حتى من هذا».

نظرت الى سوار ساعتها وتساءلت عما قد يهمس في اذن بينلا لو انها معه في الهليكوبتر الآن.

«المرأة امرأة في كل الظروف. والصفقة التي قمنا بها نحن الاثنين

ترضيني تماماً».

عاد ليتهمك بالاوراق التي امامه، واخذت فنّي تفكر وهي تنظر من النافذة في هذه الصفقة الكريهة التي تخوله حق التمسك بها وتطبيق بنودها واحدها انجاب طفل له. ومن العوامل التي تعينها على تحمّل قسوته عليها هو انه بنى قلعته بيده ويكره ان يحشر اي انسان نفسه في عالمه الخاص. خاصة اذا كان هذا الانسان امرأة لم يخترها هو لتشاركه فيه.

ومهما بلغت درجة حبها له فلن يعتبرها زوجة حقيقية له. وهي له بمثابة وسيلة الى غاية ومن سخريات الصدف انها تملك الصفات الكافية لترضي مطالبه. وجلّ اهتمامه منصب على جسمها، اما الناحية العاطفية فشأن يخصها هي وحدها. الم يقل «المرأة تبقى امرأة»؟

«هل تدخنين يا فنيلا؟»

لم يتح هراكليون الوقت لفنّي لتجيب على سؤال زونار فقال دون ان يرفع نظره عن اوراقه:

«كلا. انها لا تدخن. ورئتاها وجلدها لا تتحمل التدخين».

القى زونار نظره على فنّي وتململ في مكانه واشعل سيكارة لنفسه. وتصورت فنّي ان زونار وجد تسلية في قصة هذه الفتاة الهادئة الجميلة التي غامرت بجرأة مدهشة لتأمين زوج لنفسها ذي ثروة طائلة. وكلما فكر زونار فيها كلما عجز عن فهمها كما يعجز عن فهم وضعه الطائش في علاقاته بالنساء منذ فقدان زوجته التي احبها حبا خالصا والتي لا ينساها الا باغراق نفسه في امور تروّح عنه وتنسيه ذكرياته ولو الى حين.

تراوده الآن مجازفة التقرب الى زوجة لا يحبها زوجها ولكن يمتلكها، وهذه مشكلة تحب فنّي ان تتفاداها لانها لا تريد مطلقا ان تتسبب في انشقاق بين الاخوة قد ينتج عنه تفسّخ في العائلة. هي تريد بناء صداقة لا مغازلة، وتتلهف ان تلقى فردا واحدا على الاقل يرحب بها ترحيبا غير الذي يظهره زونار.

لم تع انها كانت تغرز اظافرها في جلد جزدانها الا عندما ربّت هراكليون بقلمه على ظهر يدها وقال:

«ستخدشين جلد الجزدان. هل عملت في المحاسبة حيث كنت موظفة؟»

لماذا هذا السؤال؟ الا انها اجابت:

«بعض الأحيان».

«وهل تحسنين المحاسبة؟»

«كنت اتدبر فيها ولم اخلط بين شيء وآخر. اني احب عمل الارقام».

ناولها ملفًا فيه اوراق وقلما من ذهب وقال:

«ممتاز. القي نظرة عليها واعملي اللازم. هذه ارقام عن مطاعمي في اثينا مكتوبة بالانكليزية حيث ان المحاسب بريطاني».

تعرف ان هراكليون ليس بحاجة الى مساعدة ولكنه يريد ان تشغل ذهنها في العمل بدل ان تشغل نفسها بالتفكير. شعرت بامتنان حقيقي وعبرت عن ذلك بابتسامة حلوة فيها كل حرارة الشباب. تطلع فيها مليا ثم قال:

«اشتغلي بها تربحي فنجان قهوة».

اختفت ابتسامتها واغتاظت منه بسبب نظرته القاسية ولهجته الجافة. يئست من التمتع بكلمة لطيفة او مجرد ابتسامة منه. لا ينظر لها الا بازدراء وباندفاع عاطفي لذي الحاجة فقط.

بدأت عملية جمع الحساب جاهدة لئلا تقع في الخطأ املا منها في الحصول على رضاه ولو نسبيا. ومضى الوقت وهي تسمع دندنة محرك الهليكوبتر واصوات الرجال يتحادثون كأنها آتية عن بعد. افادها العمل الذهني افادة الدواء الناجع وهذا ما كانت تتمناه. قاربت الانتهاء من آخر صفحة عندما سمعت هراكليون يعلن انهم سيحطون في نيس في فرنسا للتزود بالوقود، وما ان رفعت رأسها حتى وصل انفها عبير القهوة. قال لها زوجها وهو يناولها الفنجان:

«انظري. تحتنا مياه البحر الزرقاء فقط».

جنوب فرنسا. ما اجمل هذا البحر بشواطئه البيضاء! انكمشت فنّي قليلا على نفسها. فانكلترا اصبحت الآن وراءها وبعد قليل ستكون وجهتهم اليونان. اعادت اليه الاوراق وراجع الحساب فوجدها دقيقة بعد مقارنتها بما لديه.

قال ممتدحاً:

«عمل جيد. والآن اعرف الى من التجىء عند تراكم العمل. كما انك

تعرفين يا سيدتي ما هو دخلي من محلات قهوة الاكسبريس».

لا تعرف هذا فقط بل تعرف ايضا كيف ينغص عليها لحظة شعرت فيها بقليل من النشوة عندما يتعمّد النيل منها. فقالت دون ان تنظر اليه:

«نعم، اعرف. لا بد انك راضٍ عن مدخولك الكبير من محلات القهوة».

ضحك بخشونة وناولها ساندويش من الخبز الاسمر بالجبن والزبدة وقال:

«هل ما زالت مخالبك قوية لتخدش؟»

«املي ان تكون كذلك. شكراً».

وجدت الساندويش لذيذ الطعم ونكهة القهوة منعشة، ويبدو ان مشاكسات هراكليون واهاناته لها تشحذ قابليتها للاكل. فأكلت بشهية كبيرة، ورأته من طرف عينها ينظر الى جلدها من فتحة القميص الزهري وتفهم فني ان معنى كل نظرة من هذه النظرات لسة بد تذكّرها بما جرى في اول ليلة لهما. وبما سيجري من الاندفاع الجنوني الذي يغرقها في كل شيء ما عدا الغاية التي يتوخاها: ان يسمع منها عبارة «انا حامل».

قطع زونار عليها خيط تفكيرها عندما قدم لها طبق الحلوى لتتناول منه قطعة. تذكرت حلوى مثل هذه في بيت عمها عشية الزفاف. كان قرص الحلوى ابيض كالثلج تغطيه ازهار مصنوعة من السكر المجمد والمزين بجرسين من الفضة الاصلية.

«تناولي منه يا فنيلا. يجب ان تتذوقي قرص زفافك».

تعلم فني ان زونار يحب المزاح ولا يقصد توجيه كلام لاذع او ذي معنى، ولكنها احست بقشعريرة برد تسري في عرقها وبهروب الدم من وجهها. وتصابرت على نفسها وقالت:

«هذا ليس قرصي انا. كلنا نعرف ذلك. اليس هذا صحيحا؟»

«في كل الاحوال يجب ان تأكلي منه. هذه هي التقاليد».

«لماذا؟ هل هذا يؤمّن ولادة صبي لطيف لزوجي اليوناني؟»

خيم عليهم صمت رهيب ولم ينبس احدهم بكلمة واحدة لان ما قالته مسّ كل واحد منهم. لم تقصد ان تكشف عن عمق آلامها، ولكن زوجها

هو اللذي يدخل اليأس الى قلبها بقساوة قلبه الحجري. كانت تأمل مثلا ان يلين قلبه ولو قليلا في ليلتها الاولى ولكن خاب املها.

رمت برأسها الى الوراء فانفرش شعرها كبساط من ذهب يتوهج كالنار حول وجهها، ولما تطلعت في وجه هراكليون بقي نظره متحجرا واما اعصابها فلا يبعد ان تنهار.

«لنأمل فقط ان يكون ألطف طبيعة من طبيعة والدته. افتحي فمك!»

«اني ارفض. . . لست فقمة لافتح فمي حتى تلقمني سمكة!»

«انت عنيدة يا عزيزتي. تتصرفين كالاطفال. كلي قطعتك . . . واحبّيها».

نفد صبرها ولم تعد تدري ما تقول فصرخت فيه متعمدة اهانته:

«اذهب الى الجحيم يا هراكليون!»

لم تبال بوجود أخويه شاهدين على الحقد القائم بينها وبين زوجها. الى متى يستطيعان الاسترسال في التظاهر الكاذب بأن في زواجها بهجة وسروراً وأخواه يعلمان ان شقيقهما الاكبر تزوج من فتاة احتالت عليه؟ لن تتحمل التستر وراء المظاهر الخداعة طالما لن يغفر هراكليون لها فعلتها ولن يتوقف عن اذلالها ما دامت تحت سقفه.

فليقذف بها من نافذة الهليكوبتر ولكنها لن تنحني امامه وتقبّل رجليه كالعبدة وكمن يتوقع مفاجأة من هذا النوع خطفت نظرة اليه ورأت في عينيه تلك النظرة التي تعبّر عما يلاحقه من بؤس طفولته. وردّ اليها النظرة بنظرة كلها تهديد.

«هل تحبين ان تجدي نفسك هناك، اسفل؟»

«لا اشك في انك تستطيع تدبير ذلك. انت تتنفس كبرياء نتنة، الا تعتقد ذلك يا هراكليون؟ وكبرياؤك تحرمك نعمة القوة في العفو كباقي الرجال».

تدخّل زونار ليلطف الجو دون ان ينحاز الى احدهما وقال:

«ربما تفضل زوجتك ان تحتفظ بحصتها من الحلوى ملفوفة بورقة في الوقت الحاضر. فالنساء يعتقدن بالخرافة القائلة بأن المرء لا يستطيع ان يحصل على قرص العسل ويأكله».

تحول هراكليون عنها وصب لنفسه مزيدا من القهوة وقال بدون

اكتراث:

«اذا كانت تخشى ان تختق الحلوى انفاسها فلتحتفظ بها ملفوفة».

ولم تود فتي ان تبدو مقصرة في شكر زونار فتمتمت كلمة امتنان له عندما ناولها قطعة الحلوى.

ظل دمتري طيلة هذا الحوار اصمّ ابكم وودّ لو انه يفتح الباب ويدفع بها ليتخلص منها هو والعائلة، بينما كانت ركبتا فتي تصطكان لانها تعيش في دوامة عنف تشتد وتخف حسب ميول وردود الفعل في كل من الاخوة الثلاثة. فأولهم يعتبرها زوجة غير مرغوب فيها... وثانيهم يعتبرها دخيلة عليهم... وثالثهم تحركت عواطفه نحوها.

وضعت قطعة الكعك في جزدانها وتنفست الصعداء عندما هبطت الهليكوبتر في تبس، وما ان ترجلت من الطائرة حتى ركضت الى غرفة الانتظار وجلست لتريح اعصابها المتوترة. اخرجت من جزدانها محفظة نقود صغيرة، كان لها في المصرف مبلغ من المال وفرّته لتقوم بالرحلة في عطلتها السنوية، وهذا المبلغ سيساعدها، لو كان في حوزتها الآن، على التخلص من مأزق لم تعد تتحمله. واخذت تفكر في عملها الجنوني وندمت على اقحام نفسها في حياة هراكليون. اي شيطان وسوس لها ان تتقمص شخصية بينلا عندما رأت فستان عرسها ملقى على السرير؟ هل ارادت التخلص من حياة الوحدة في بيت عمها؟

اقتربت منها احدى خادمات غرفة الجلوس وسألتها بالفرنسية سؤالا فهمت منه بأن الخادمة ارادت ان تطمئن عليها. فاجابتها فتيّ بكلمة شكر بالفرنسية ايضا، ثم نهضت من مكانها، ورتبت شعرها. سارت نحو الهليكوبتر وكلها عزم على مواجهة الامور على علاتها وعلى ان تمد رجليها بقدر فراشها. وان تتقبل مصيرها بشجاعة ورقة. وصلت الى الطائرة واتجهت توا الى هراكليون الذي كان واقفا يدخن سيكارا وقالت له:

«اعتذر عما بدر مني في لحظة حدة مزاج، وسأحاول ان اتجنب ذلك اذ وعدت نفسي ان اتصرف كزوجة طيّعة».

وبرهنا اننا لا نستطيع ان نعيش خدعة مغلقة. والحب عاطفة لا يمكن لبسه او خلعه كسترة. وها قد حصل ما كنت اخشاه. فان دمتري يتهمك بانك تزوجتني للكسب المادي فقط».

«وانت تصدق ذلك يا هراكليون».

«نعم. ألديك شيء آخر أصدقه؟ كلانا غريبان حقيقيان الواحد عن الآخر ولم يتلفظ الواحد منا باكثر من عشر كلمات عندما التقينا لاول مرة في بيت عمك. هل في امكانك ان تدعي بانك تهتمين بغريب عنك؟»

لا يمكنها ان تدعي ذلك ولا تستطيع ان تطلعه على انها احبته من اول وهلة بالرغم من انه غريب عنها، واحبته لانها وجدته يختلف كليا عن غيره من الرجال ذوي الوجوه السمجة والذين لا يتحدثون الا عن السيارات والرهونات والنساء المبتذلات. كان يصيبها الملل وهي في حضرتهم ولم تفكر في ان تلفت انظارهم اليها. حتى ان تسريحة شعرها لم تستحق اي التفاتة منهم وبرهنت لهم على انها لم تعنَ ابدا بحديثهم عن الحب. وكانت النتيجة ان احدا منهم لم يلاحقها او يزعجها، فكانت تستمتع بذهابها وحدها الى السينما او الى المطعم.

هذا هو منوال حياتها في بيت عمها الى ان غزت حقيقة الرجال ودخل الحب قلبها عندما اتت ابنة عمّها بيوناني طويل القامة، برونزي اللون، كان يضحك لمزحة بينلا من ان فتي بنت خجولة.

هذا هو هراكليون الذي اندمج بشخصية بينلا التي كانت تضحكه، واما مشاركته مع فتيّ فتنحصر في شكليات عقد القران وفي اول ليلة بعد العقد حيث لم تلعب العاطفة فيها اي دور.

يكتفي هراكليون بارهابها وتعذيبها ولكنه لا يكتفي بان تقف امامه مذلولة يريدها مرفوعة الرأس شامخة.

لم تهتم بنظرته العديمة الحنان ولكنها قالت بصوت فيه ليونة:

«هل تحب ان تعلق رأسي على رمح؟»

«كلا. الافضل ان يبقى حيث هو على رقبتك الجميلة. يجد الانسان تعزية حتى في زواج مثل زواجنا، بالنسبة الي على الاقل. اما انت فلم تفوزي بجائزة تعزية من الخدعة التي مارستها».

«كلا، طبعاً. لم اقرباي جائزة من هذا الزواج. اظن ان هذا يبهجك».

«اعترف انه يبهجني. ولن تقدري قيمة هذه البهجة التي تزيل المرارة من فمي كلما نظرت اليك وكلما رن في اذني صوتك المخادع عندما وعدت بأن تكوني زوجة محبة، مضحية ومطيعة».

«تركت السماء السلطة بين يديك لتعاقبني بلهب نظراتك. انت هو العقاب المحرق الذي احس به في كل عبارة من عباراتك اللاذعة».
«وهل تحسين بحرارة اللهب؟»
«كما لو كنت مقيدة على المحرقة».
«كساحرة، لا كشهيدة».
«فسّر ذلك كما تشاء».
«كساحرة طبعا يا فيلا، واكرر هذا كل مرة نكون فيها وحدنا. ساحرة صغيرة ذات جلد ابيض سحرت جماعة بكاملها بقوتها المشتعلة».
«قوتي المشتعلة ؟»
امزحي ما حلا لك لكن لن اتلاطف معك طالما اجد متعة في القسوة. قلت اني متكبر، وافضل هذه الصفة على متغطرس لاني لا اضايقك بدون سبب. والاسباب عديدة يا حلوتي».
«هل يحق لي ان آمل بنهاية للعقاب؟»
«النهاية ستأتي، عندما تنجبين لي ابناً».
رافق كلامه هذا بضغط قوي على اضلاعها.
«هل ستبتسم اذا صرخت من الألم يا هراكليون؟ هل تكرهني الى هذه الدرجة؟»
«قلت اني متكبر».
«الكبرياء اسم ثاني لك».
«اذن لماذا تعاتبينني؟ الانسان يحصد ما يزرع».
«وسيكون حصادك ابناً مني، هذا اذا حملت».
«ليكن المولود ابناً، وعندها يتوقف عذابك».
«نحتوك من حجر يوناني».
اضحكته هذه العبارة ولكنه علق قائلاً:
«لا تحاولي ان تتملقيني يا عزيزتي. عندي مناعة ضد الاطراء. انا منحوت من رخام يوناني ولكني لست بشكل ادونيس، ذلك الصياد الجميل الذي قتله حيوان بري بقرنيه لانه رفض محاولات افروديت لايقاعه في

حبها. حتى وانا شاب لم اكن بجماله. ان مظهر آل مفراكيس متجسم في اخوي التوأمين».
«لكن الطبيعة منحتك مزايا اخرى».
«نعم. منها العناد والذكاء الحاد».
ووهبته الطبيعة غير هذه المزايا: منكبين قويين ومشية الفهد والرشاقة والثقة في النفس وعينين مشعتين وصوتاً قوياً ورهبة ونفوذاً. وعدا ذلك قوة اقناع جعلته اكثر خطراً على المرأة من غيره من الرجال. هذا ما تراه فيه من صفات وارادت ان تضيف عليها:
«ولدت للاستمتاع بالصراعات. هذه احدى مزايا اهل اسبارطة وانت تعرف ذلك. انت تكرهني . . . ومع ذلك تريد طفلي. فهل سترميه من على صخرة مرتفعة اذا شب شبيهاً لي؟»
«يكفيني ان يكون في جمالك، وما تبقى فيه سيأتيه مني. الحب والكراهية شيئان ملتصقان كالتصاق الجلد بالهيكل العظمي».
«حقاً؟ اذن ستفرض على ابني نصيحة اسبارطة الاسطورية: «حاملا درعك او محمولاً عليه». أليس كذلك؟».
«هذه النصيحة من اسمى ما يكون فيجب ان يكون الرجال اشداء والنساء جميلات».

اشعل سيكاراً وأخذ يرسم بدخانه صوراً في الهواء وهو ينظر اليها بتمعّن وقال:

«النساء تغلب عليهن الصفة العاطفية والنساء اليونانيات على الاقل يحبذن السيادة عليهن والاهتمام بهن. اسألي اية فتاة يونانية عن هدفها فتقول لك انها تعيش لتلد ابناً فترعاه ليترعرع وينمو رجلاً ذا بأس وعزة نفس. هل تعتبرين هذه فلسفة رديئة؟ سيخف تذمرّ النساء في وطنك يا سيدتي لو عرف الرجال دورهم الحقيقي في الحياة وتخلصوا من ميوعتهم وعدم مبالاتهم. هل احببت احداً منهم؟»
كانت تكنّ ازدراء لهؤلاء الرجال وحبا لهذا اليوناني الذي يمثل قوة الارادة وقوة الجسم التي لم تصادفها طيلة سنيها الاثنتين والعشرين.
قاست بنظرها عرض منكبيه الملفت للانظار والذي تتمثل فيه مقاومة شديدة

وتصميم ثابت، ولهذا احبته.

احبته ولكنها ستثابر على مقاومته ومعاركته وهذا ما يريده منها. . . ما يريده من عروسه المزيفة والمحتالة.

«انت تعتقد انه كان لي ...».

«اقر باني اخطأت في اعتقادي هذا، الا اذا كنت مخادعة ماهرة».

تنطبق هذه الصفة على بينلا. ولا تزال ضحكات ابنة عمها ترن في اذنيها وهي تقص عليها اخبار انتصاراتها على الرجال وتقول: «الرجال اغبياء، وينصاعون لك اذا عرفت كيف تصطادينهم بالصرامة». وهذا قليل من كثير.

«هل تصدقني اذا قلت لك اني لست من هذا النوع من الفتيات؟».

«اتطلع في عينيك ولكني لست احمق كي اسبر غور غموضهما، وهما كالضباب المنساب فوق سطح الماء او كغمامة المساء».

تقدم زونار منها وقال تعليقا على ما سمعه عفواً:

«المتشائم وحده ينجح في سبر غورهما. فتاة بلا غموض تشبه جوهرة بلا اعماق، او طعاماً بلا نكهة. في هذه اللحظة بالذات تذكرني فتيلا بشمّام بارد يسيل له اللعاب».

رماه هراكليون بنظرة تعنيف وامسك فبيّ بذراعها وقال:

«آن الاوان كي تذهب. احس اني تغيّبت طويلاً عن بتالودس».

«جزيرة الفراشات».

«نعم يا فبي، جزيرة الفراشات، الجمال الحقيقي الثمين والاوحد في حياتي».

كان صوته جافاً واصابعه تؤلم ذراعها وهو يساعدها في الصعود الى داخل الهليكوبتر. واضاف يقول: «تذكّري ذلك!»

اجابت بصوت خافت جداً:

«سأتذكر كل شيء.»

ارتفعت الهليكوبتر في الهواء وكانت شفرات المروحة الهائلة تبرق في ضوء الشمس وتقطع الهواء وهي تدور.

٤- في القصر الأزرق

هذه لحظة لا يحظى بها الا من كان يطير فوق البحار. سكون فوق جمال البحر عند المغيب والشمس التي توزع خيوطاً ملونة في كل اتجاه قبل ان تختفي وراء الافق.

اقتربوا من الجزيرة وحامت الهليكوبتر الفرنسية الصنع التي اقلتهم من انكلترا فوق القصر وهبطت بهم على هضبة بين بساتين الفواكه. والقصر الأبيض اللون الذي يعلو الجزيرة.

نبّهها صوت هراكليون من تأملاتها عندما سمعته يقول بلهجة كلها سرور وارتياح:

«بيتنا! واخيراً وصلنا!».

رأته ينظر اليها بقرف لأنه لا يريدها ان تشاركه فرحته بعودته الى

موطنه، ولكنها حدّقت فيه برفعة وهدوء عازمة على المجابهة كيلا يمزق ما تبقى لها من احساس.

اخذت النجوم في الظهور واصبحت فنّي الآن تبعد بأميال واميال عن بيت عمها الانيق بمروجه الخضراء وازهار الحديقة المتمققة.

هي الآن واقفة على ارض جزيرة بتالودس، الجزيرة اليونانية الصخرية الغنية بفواكهها واعشابها العطرة تملأها ليلاً اصوات الزيز والصرصر وينتشر في ارجائها اريج اليونان التاريخي وظلال اطلاله. رفعت رأسها ورأت قصر «باشا» الجزيرة. وعوضاً عن ان يتركها زوجها سارحة في افكارها يحلو له دائماً ان يقطع عليها ذلك ويتفوه بعبارات فيها امثال او عبر قديمة او فلسفة. قال هراكليون:

«على الانسان ان يعيش ليومه كما لو انه يومه الاخير الذي يتمتع بشمسه».

فلسفة ابولو هذه يمكن ان يقال انها فلسفة هراكليون الذي تراه فنّي شاذاً في بعض تصرفاته وذا بأس في معاملاته، وترى نفسها تتجاوب مع كل عضلة فيه ومع مشيته ولون جلده وحتى لباسه. تراه سيد نفسه وسيد الموقف. وتتساءل عن احتمال حدوث تغييرات فيه بعد ان دخلت حياته وهزّت الى حد ما كيانه وكبرياءه.

رفعت نظرها ثانية وتبين لها القصر الابيض منتصباً بين اشجار الزيتون والحمضيات والسرو. ويعود طراز بنائه الى عهد الاتراك، فنوافذه مقوسة وجدرانه من الحجر القاسي وله رهبة سيّده.

يرى من يقف فيه مناظر البحر والسماء وبيوت سكان الجزيرة.

رحّب زونار بفنّي قائلاً:

«اهلاً بك في القصر الازرق».

لماذا يسمونه القصر الازرق بينما هو أبيض؟ فهمت فيما بعد ان التسمية تعود الى كون القصر موجوداً على ارتفاع شامخ، وفي كل زاوية من زواياه يرى الناظر مياه البحر الزرقاء تحيط به من كل جانب.

كانت مرطبات متنوعة حسب ذوق كل واحد من الاخوة الثلاثة تنتظرهم على صينية يحملها خادم في سترة ناصعة البياض. اما شراب العروس فهو شراب بلون البرتقال ولكنه مركّب من مختلف الفواكه. وجدته فنّي من ألذّ ما يكون فاخذت ترتشف منه بجرعات صغيرة

ومتباعدة، ولم تتحرك من مكانها في وسط البهو. واذا بها تفاجأ عندما سمعتهم يصرخون دفعة واحدة وبصوت واحد:

«لبيك يا وطننا الحبيب! مرحى! مرحى!».

كان البهو يتصل بالطابق الاول بهلالين من السلالم المكونة من حجر الفسيفساء الذي صار وجهه املس كالحرير من كثرة الاستعمال. وعندما انتهت فنّي من شرابها اتت امرأة في ثوب طويل داكن وصعدت بها الى شقة في الطابق الاول حيث وجدت فنّي نعمة الهدوء الكامل بعد عناء الساعات الاربع والعشرين الماضية.

تمعنت المرأة في عروس سيد الدار وتفوهت ببضع كلمات يونانية لجهلها التام باللغة الانكليزية. ودلّت لهجتها على لطف فابتسمت فنّي لها. وردت عليها بكلمة او كلمتين يونانيتين كانت قد تعلمتهما استعداداً لتمضية عطلتها في جزيرة كريت، هذه العطلة التي تحولت الى شهر عسل مرير.

ابتسمت المرأة لمحاولة فنّي وللكنتها، وفاجأتها بان اخذت يدها وبدأت تتفحص كفها. وبينما كانت فنّي تستغرب هذه الحركة وتقارن بين لون يدها الكثير البياض ولون يد المرأة البرونزي، رفعت هذه نظرها واشارت بسبابتها الى موضع في راحة اليد وقالت عبارة غامضة باليونانية.

قالت فنّي بيونانيتها الركيكة انها لم تفهم شيئاً. وارادت ان تستوضح ما رأته في راحة يدها.

اجابتها المرأة:

«دراق».

ولمست وجنة فنّي باصبعها وكررت كلمة دراق مرتين. هل عنت بذلك ان جلدها ناعم كالدراق؟ وفطنت الى انها تعني انها عروس والعروس ذات اهمية كبرى في نظر اليونانيين لانهم يتوقعون منها ان تنجب لهم طفلا باسرع ما يمكن لتبرهن على رجولة الزوج.

طفل واحد فقط! هذا ما رأته هذه العرّافة في راحة يد فنّي؛ ولادة طفل واحد فقط... هذه خرافة، اذ كيف يتسنى للانسان ان تكون له قوة التنبؤ بالمستقبل؟ هزت فنّي رأسها غير مصدقة، الا ان المرأة... وهي مدبرة البيت... اصرت على صدق قولها، وفوراً تحولت الى موضوع آخر وهو

تفريغ حقائب السفر. وفي هذه الاثناء سألت فنيّ المرأة باليونانية عن اسمها.

«كاساندرا».

ضحكت فنيّ للتسمية الغريبة. فكاساندرا الاسطورية هي ابنة بريام ملك طرواده وقد منحها ابولو موهبة التنبؤ بالمستقبل، واصبحت كلمة كاساندرا ترمز الآن الى كل امرأة تتنبأ بالمجهول. فهل لكاساندرا مدبرة البيت قوة التنبؤ بأن فنيّ ستلد طفلاً واحداً فقط؟

الجزر اليونانية كأنها ليست من هذا العالم ولسكانها طرقهم ومعتقداتهم بجميع انواع السحر، وفنيّ الانكليزية متمسكة بمنطقها الانكليزي الذي يرفض الاعتراف بأن كاساندرا تملك بصيرة التكهن... واذا صح هذا فستكشف هذه المرأة اشياء اخرى. مثل نقصان عنصر الحب في حياتها الزوجية او رحيلها في نهاية الامر من بحر افروديت.

بعد ترتيب ملابس السفر اشارت فنيّ الى المرأة بان تتركها وحدها. خرجت هذه المرأة المتشحة بالسواد وقد تكون ارملة... والمعروف عن اليونانيات انهن يلبسن الاسود بعد فقدان الزوج للدلالة على ان شمس حياتهن قد افلت... واغلقت الباب وراءها. فراحت سيدة القصر الازرق المحرومة من الحب تستكشف مقصورتها الفسيحة الجميلة في احد ابراج القصر حيث كان السيد العثماني ربما يحتفظ بعدد من الفتيات ليرفّهن عنه.

اعجبت بالحجب الخشبية الدقيقة التشبيك كأنه تطريز ابرة. ولفت نظرها السرير وهو كناية عن ديوان عريض يقوم على منصة.

هذا هو برجه الذي ستعيش فيه عيشة حميمة أقحمها فيها زواجها الغريب. وتخيلت ابتسامة سيدها هراكليون الذي ربما ورث شيئاً من طباع الاتراك وهو يبهجه في الاحتفاظ بها بين جدران هذه الشقة ذات الحجب المشبكة والفوانيس المرصعة والأريج الشرقي.

كل غرف الشقة تتصل بعضها ببعض بواسطة اقواس او قناطر ابوابها من الحديد. ونوافذها مستورة بشبكة ناعمة من الخشب وامام كل نافذة مقعد ظهره على شكل مروحة تتوسده الناظرة من النافذة فترى ولا ترى.

اعجبتها غرفتها كثيراً، ولفت نظرها فجوتان في الحائط، يوجد في داخل

احداها ايقونة من الفضة ويتدلى من سقفها قنديل من فضة مخرّمة، وفي داخل الاخرى جرّة لونها أسود وأبيض ورسمت عليها حيوانات ترقص.

شيء آخر احبته فنيّ هو انابيب بلورية رقيقة الصنع يخرج منها صوت ناعم وحلو كلما لمستها بيدها. وأحبت الغرفة وهي تشعر بسرور يشوبه وخز الضمير لأنها موجودة هنا. جلست على المقعد واسندت رأسها على ظهره المروحي. وكان بجانب المقعد طاولة مرصعة عليها صحن فيه عنب تناولت منه قليلاً واخذت تأكله، وبجانب صحن العنب كأس من المعدن المنقوش على شكل زنبقة الماء وابريق له غطاء ومصب طويل. فتحت الابريق ورأت انه يحوي نفس الشراب الذي تناولته في البهو عند وصولها للترحيب بها حسب التقاليد اليونانية. فصبّت منه لتتذوقه مرة اخرى.

كل ما حولها يدلّ على شعب صلب له مزايا دقيقة لا تتقبلها انكلترا لانها لا تقدّرها على حقيقتها. وكانت وهي ترتشف الشراب من الكأس الفضية تفكر بأنها قد تجد متعة في حياتها مع هراكليون بالرغم من انها تحيا حياة الخدر. واحست بانقباض في قلبها للذنب الذي ارتكبته واصبحت بموجبه زوجة له.

أثر الشراب عليها لانها احست باسترخاء مريح. وتستطيع الآن ان تنتظر مجيء هراكليون هادئة الاعصاب. فماذا كان فيه؟ رأت الليل يسدل ستاره من خلال الشبابيك وتراءت لها هذه الارض الدافئة الغنية بشجر الزيتون والحمضيات الذي تتدلى منه فاكهة ذهبية ويفوح عبير أزهاره فتملأ الليل اريجاً. وعادت بفكرها الى واقعها في القصر الازرق الذي يمكن ان يكون بيت الامان والسعادة لا جنة عدن التي ستطرد منها لاقتطافها الثمرة المحرمة.

خدعت وكذبت لتصل الى غايتها ولكنها لا تستطيع ان تكشف لهراكليون ان غايتها هي حبها العميق له. فقد احتقر حبها... ولكنه انجذب اليها وفقاً لقانون التناسل الذي يصرخ في جسمه. اما فضيلة التسامح فقد ورثها من اسبارطة حيث كانوا يرجمون بالحجارة في الساحة العامة كل امرأة اقترفت ذنباً اخف من ذنبها بكثير.

وهذه الصفة رأتها فيه وهو في انكلترا. وعرفت فيه وحشية عواطفه

البدائية التي برزت عندما تمنى وهم في الهليكوبتر ان تختنق اذا اكلت قطعة الحلوى التي اعدّت اصلاً لتشاركه فيها بينلا، والجرسان الفضيان اللذان كانا يزينان القرص وضعا هناك رمزاً للفرح. وبزواجها منه تحوّلا رمزاً للعبودية. وهو يريدها عبدة له شاءت ام ابت. وهذه هي النتيجة المحتمة... لم يفدها حبها له. وهي موجودة الآن في القصر الازرق وتستطيع ان تحدد مدة اقامتها المتوقعة على ولادة طفل له. وانقلب القصر صخرة ثقيلة على ظهرها. وهي التي سببت لنفسها هذا الموقف، اذ تركت بيتها وطهرها لتأتي الى هنا.

صحيح انها تبكي احياناً وترثي لحالها لأنها اصبحت سلعة. الا انها لا تتنازل عن وضعها الآن رغم مرارة عيشها فيه لتعود الى الايام المضجرة والليالي الحزينة في انكلترا.

شعرت بقدومه قبل وصوله الى غرفتها. استدارت ورأت هراكليون واقفاً في قنطرة الباب ووصلت الى انفها رائحة الدخان الذكي من سيكارته التركية. وكوّن دخانها هالة حول وجهه فزاد من غموض نظرته وملامحه.

«كنت ابرقت كي يهيئوا الغرفة خصيصاً لك. هل اعجبتك الشقة».

قالت:

«الشقة جذابة. ماذا يوجد وراء الستار الحريري؟».

واشارت الى حيث الستار. فمشى نحوه لا كمن يمشي في بيت بل كهرة.

سحب الستار الى جانب وكشف عن حائط من خشب الارز عليه صورة حصان يقفز. ضغط على زرّ في عين الحصان فانشطر اللوح الى قسمين وظهرت غرفة جلوس وثيرة الفراش والانوار.

«هذا باب سري كان الرجل يستعمله كلما اراد ان يزور خليلة، وهذه السرّية تعطي الزيارة طابعاً خاصاً. والمرأة في نظر رجال الايام الغابرة لم تكن الا قطعة للتسلية والمتعة او عصفوراً في قفص. والويل للفتاة التي تتجرأ على عبور هذا الباب. واية محاولة للهرب كانت مستحيلة، فابواب الخدر تظل مقفلة ومفتاحها في عهدة غلام».

«الم يسمح لها باستنشاق الهواء؟».

«بلى. ولكن دائماً برفقة الغلام. اتبعيني لأريك اشياء اخرى».

تبعته حتى نافذة عليها شبك خشبي. دفع الشبك الى الخارج فانفرج عن باب ونافذة في آن واحد وخرجا منه. كانا الآن واقفين على شرفة تطل على بساتين البرتقال والليمون وعلى الصخور الممتدة حتى البحر. كل اثاثها مصنوع من الخيزران، والغرفة ذاتها فيها خليط من رائحة النبات الذي يزينها ورائحة البحر والبرتقال وشجر الصنوبر.

«هذه هي الخلوة، وكما ترينها فهي غرفة صغيرة خاصة بساكنتها».

وقفت فني متكئة على سور الشرفة تتطلع في النجوم والبحر والاشجار. واخذ قلبها ينبض بسرعة عندما اقترب زوجها ووقف خلفها مباشرة. وبالرغم من عدم وجود اي مسافة بينهما احست بالبعد الشاسع بين حبها له وبين قسوته عليها. لم تعد تميز الاشياء، سوى نقاط براقة تتطاير في الظلام آتية من حشرات اليراعة وجمرة صغيرة طارت فوق رأسها عرفت فيها ذنب السيكارة، واحست بذراعيه تطوقانها وتديرانها لتقف وجهاً لوجه معه.

«ستكون هذه الشقة بيتك وسترتاحين اليها، ويبدو لي انها تلائمك، الا توافقين؟».

«هل يجب ان أوافق على كلام زوجي بصفتي زوجة ليوناني».

«لماذا هذا القول؟ هل يوحي اليك جو هذا المكان بأني حاكم مستبد يرغمك على الخضوع له؟ كلمتان فقط: «زوجة وزوج»، لهما معناهما الكبير بالنسبة الى الغير ومعناهما الصغير بالنسبة الى كلينا».

«السيد وعبدته، وبالرغم من الصلة بين الاثنين لا تتوقع مني ان ازحف على ركبتي يا سيد. تستطيع ان تضربني لترغمني على النزول الى هذا المستوى الدنيء الذي تعتقد بأنه مستواي».

«لي مطلق الحق في ان افكر بأنك... حسناً، يمكن القول انك تواطأت لتغزي. هل تنكرين ذلك».

«اشك كثيراً في قدرة اي انسان على قهرك، خاصة اذا كان هذا الانسان امرأة».

«صحيح».

ضحك ضحكته الخشنة وطوق عنقها الابيض بيده القوية ورفع وجهها

الى النجوم. وتفرس في عينيها وملامح وجهها الذي يتوّجه شعرها الذهبي وقال:

«لاحظ زوبار جمالك ولم الاحظك انا بكليتك. هذا له معناه الواضح».

«كنت كثير الانشغال بـ. . . بابنة عمي. هل يترك لك ذلك مجالاً لان تتذكر فأر البيت؟».

لم تقصد أصلاً ان تذكر ابنة عمها ولكن ليس لها حيلة. ولم يظهر عليه انه سمع عبارتها الاخيرة لانشغاله بتلمّس مواضع حساسة في عنقها، حيث يكون نبض القلب اكثر وضوحاً.

«ما اسرع ضربات قلبك! هل يخيفك لمس اصابعي؟».

«كثيراً ما هددت بقصف رقبتي، وانت تعطي وزناً لتهديداتك».

«هذا ليس قاعدة. ولكني كيوناني تعلمت منذ صغري ان اقدّر قيمة رأس المال، ولا ارذل شيئاً ما زلت افيد منه. فمن جهة واحدة يا عزيزتي، انت تسليني ومن جهة اخرى انت طرف في صفقة اتفقنا عليها، واذا قصفت عنقك اكون قد قتلت الوزة التي قد تعطيني بيضة من ذهب».

«لك طريقة مثلى في توضيح الامور».

أحست بضعف كاد يدفعها الى الاستسلام بين ذراعيه ولكن هذا ترف تتمتع به المرأة التي يحبها الرجل، وكل ما تستطيع عمله الآن هو تحمّل ملامساته الهازئة وشعوره بامتلاكها والتسلط عليها.

تركت له العنان في تمرير يده على جلدها وارتعشت عندما لامست اصابعه عمودها الفقري ولكنها تماسكت وقالت له لتلهيه:

«الا ترى ان ننضم الى أخويك للعشاء؟».

«نحن عريسان يا جميلتي وهذا يعني اننا نرغب في ان ننفرد بانفسنا ولذا سوف لا ننضم اليهما. وسيأتينا الطعام عندما اقرع الجرس. وقابليتي الآن مائلة لك وليس للأكل وبدل الجرس تكفي اشارة من اصبعي!».

وضحك ضحكته الشعة وطوقها بعنف وقوة. لم يبال بما يسببه لها من ألم وحملها بين ذراعيه وترك الخلوة فدخل الغرفة حيث الديوان المنصوب على المنصة.

كل ما تعيه فيّ الآن هو بدا هراكليون وفمه ووجوده بجانبها. تصاعدت

ضربات قلبها ورفعتها أمواج الاحساسات وجمعتها بافروديت.

كانت فتي تبدو ضئيلة في قفطان فضفاض من الحرير الصافي وهي جالسة الى المائدة تتناول العشاء. قلّدت زوجها في أكل السماني المشوي باليد لتتمكن من سلخ اللحم عن العظم. وهذا ما زاد في قابليتها للطعام المطبوخ بالتوابل الذي كانت نكهته تختلط برائحة القهوة. أكلت بشهية لانها لم تتناول شيئاً منذ الفطور.

مسح هراكليون اصابعه بفوطة وقال معلقاً عليها:

«شيء غريب حقاً. بعد لحظة . بين رجل وامرأة تعود فتاة صغيرة كلها لهفة لتأكل كطفل مرح في نزهة وكلها براءة كأنها بنت صغيرة في عهدة راهبة طيبة رافقتها في نزهة . شيء مدهش فعلاً. من ينظر اليك لا يصدق ان لديك كل هذه المقاومة العاطفية وكل هذا التأجج في ذلك الجسم الانكليزي الناعم. كان ظني في السابق ان الانكليزية فاترة يجري في عروقها ماء بدل الدم».

«بينلا ليست من النوع الفاتر بكل تأكيد».

ارادت ان تعرف مدى علاقته ببينلا، ولكنها وجهت انتباهها الى رأس بندورة محشي باللحم والرز كي تخفي فضولها.

«لم اتعرف ابداً على بينلا مثلما تعرفت عليك».

كان لجوابه مغزى خاص فاغاظها وصعد الدم الى وجهها. وتوقعت ان ينظر اليها ككل مرة نظرة السخرية والتعنيف.

«هل تعتقدين اني قفزت من فوق الحائط قبل ان يفتح الباب لي؟ اليوناني يفضل ان تقف بجانبه امام المذبح عروس بكر وطاهرة كالكتان الابيض الناشف وكالثلج المتساقط وكالرز الابيض الطري».

وحاولت ان تكيل له كما كال لها هزءاً وسخرية فقالت:

«ولا يهم اذا كان العريس ضليعاً في فن. . . الاغواء؟».

لم يعلق على ذلك على الفور لانشغاله بأكل بندوره محشية وتلذذه بمضغها وهو يحدق فيها.

«اية فتاة ترضى بأحمق يتحسس طريقه في ظلام الجهل في أول ليلة من شهر العسل؟ الا يسبب ذلك عذاباً للعروس اذا نقصت عريسها المعرفة والدقة في هذا المجال؟ يجب ان تعترفي يا جميلتي اني لم اجعل منك

حطاماً».

توردت وجنتاها ولكنها امتنعت عن خفض عينيها كالبنت الخجول الحمقاء فهزت رأسها وقالت:

«لا يتهمك أحد بأنك وحش. لكنك دائماً تتغنى بتفوق الذكر».

«صحيح؟ الرجل اقوى من المرأة جسمانياً واحياناً له عقل ثاقب واكثر منطقاً، ولكن نحن معشر اليونانيين نحترم واقعاً مهماً وهو ان المرأة تستطيع ان تحمل ... صورة طبق الاصل للرجل الذي يمتلكها. هل هذا يحوّلني الى ذكر متطرف ... كما يقول الاميركان؟»

ابتسمت في لوقاحة هذا الرجل الذي يعتبر المرأة دمية او قطعة للتسلية. ولكن هذه ليست عقيدته او عقيدة اليونانيين. هذه عقيدة العالم الغربي القائل بأن الحياة لعبة والمرأة تمثل دوراً فيها.

«لك بعض نواحٍ مدهشة يا هراكليون. نحن سائران على طريق تبادل المعرفة الواحد عن الآخر».

قطع قطعة خبز بالزنجبيل والعسل وقدمها لها قائلاً:

«من المحتم ان يعرف واحدنا الآخر. كلي هذه من يدي دون ان تتأكدي اذا كانت مسمومة ام لا».

تناولتها شاكرة. وذكرتها هذه القطعة بقصة قطعة الحلوى في الهليكوبتر. وامتدحت طباخه عندما اكلت منها وقالت:

«طباخك ممتاز. وانت تحب اطايب الأكل».

«احبها، واذا كانت في متناول يدي الآن فذلك بفضل العناية الالهية وعرق جبيني. وعلى الانسان ان يكتسب الاشياء الحسنة لا ان تقدّم له على طبق من فضة. ولا يجب ان ننسى ان افضل عسل في العالم يأتينا من النحل البري العائش في اجمات اليونان. وفي ربيع تلك الانحاء تكون الارض مفروشة بشقائق النعمان وزهرة الربيع والاعشاب المزهرة، وحيث يدوس الانسان بقدمه تفوح رائحة الاعشاب العطرة. وترين جمالاً حتى في الاماكن القاحلة حيث تهدمت الابنية التاريخية وواجهاتها المزخرفة

وتساقطت رؤوس الاسود واصبحت غباراً».

«اظن انك تحب بلدك».

«آه، حب الوطن. لن اقبل لوطني بديلاً بالرغم من الخلافات وعدم الاستقرار فيه. لا احيا او اموت الا في بلدي».

كانت تغتنم كل فرصة لتعرف المزيد عن زوجها. قالت:

«اطلعني على شيء من عاداتكم وعرفكم».

اذا عرفت شيئاً عن بلده ربما تعرف اشياء عنه. فلا يكفي ان تكون بين ذراعيه. غايتها ان تنفذ الى قلبه وروحه، ما وراء هذا الجسم الصلب الذي تلتحم به وتفشل مع ذلك في ازالة الحاجز القائم في اعمق اعماقه.

رماها بتلك النظرة الساخرة المؤلمة التي اعتادت عليها، وتناول قنينة شراب معدني وصبَّ منه في قدح من البلور الصافي، فاخذ الشراب يتراقص كاللآلىء الصغيرة في فقاقيع الهواء الخارجة منه وشرب كفايته.

«اذن يهمك معرفة شيء ما عن نوعية الرجال الذين انا منهم. اشرب هذا على صحتك!».

صبت لنفسها من الماء المعدني وكررت تمنياته باليونانية بلكنة انكليزية. واسند ظهره الى كرسيه ماداً كلتا يديه على المائدة وهو ينظر اليها، وقال:

«الكثير من عاداتنا قديمة قدم الزمن وهي ما تزال حية. نتمسك بها لأننا شعب كأرضنا، خشن وصبور، لنا قسوة المرمر بقلب من نار. والمولود البكر الذكر في كل عائلة يعرف ان طريقه في الحياة اقسى واشقى من طريق اخوته واخواته. وعليه تقع مسؤولية حمايتهم وتوفير حياة مريحة لهم. اما فتياتنا فيكبرن مع الفكرة الراسخة فيهن ان كل واحدة منهن ستشارك رجلاً في بناء البيت وفرحتهن الكبرى هي عندما يلدن ولداً. نحن لا نحترم الالقاب والتقليد الاعمى لما هو شائع. نحن نحترم النجاح وحده. وشعورنا واحساساتنا عميقة واكثر امانة واخلاصاً من احساسات الغرب السطحية المنمقة. لا تنزل دمعتنا سهلة لاننا واقعيون ونعرف ان الحزن جزء من حياة الروح البشرية. سترين كيف ان الرجال في غالبيتهم العظمى يحملون مسبحة بين اصابعهم الخشنة. نحن نسميها مسبحة الهموم وهذه ورثناها عن عادات قديمة والرجل وهو يعدّ همومه يعدّ ايضاً

حبات غيرها هي حبات بركة».

حمل قدح الماء وكان ينظر الى فني من خلاله واصابعه تتلاعب به، وابتسمت عيناه لانتباه فني التي تستمع اليه بكل حواسها كطفل يتبع حوادث قصة مثيرة.

قال هراكليون:

«انت تذهلينني. هل تعرفين الاسطورة التي تقول بان افروديت، رمز الحب، تجدد طهارتها في البحر؟ كلما نظرت اليك ارى فيك وهم الاسطورة... عسل في شفتيك واصابع رشيقة لم تغرز اظافرها في لحمي بعد».

«مع كل امنياتك في الحياة لن تجعل مني تلك المبتذلة التي تريدها. هل كل شيء لليونانيين ابيض على اسود بدون اي لون آخر بينهما؟ هل احكامك منقوشة على لوحة من حجر؟».

«في الحياة البشرية قام شهداء وسحرة وكانوا وهم يحرقون احياء يؤكدون براءتهم حتى النفس الاخير. قد تكونين شهيدة او ساحرة، سأتمتع بلعبة اكتشاف ذلك. الست مثل تلك الفتاة التي قاومت الأسد؟ هل اعتقدت يا مخادعة انه من السهل عليك العيش مع يوناني وتحويله الى احمق يتعلق بحب شعرك الذهبي وجسمك الرشيق؟ ان ذلك لمن اصعب الأمور».

«لم يرد الى ذهني ان العيش معك سهل».

تضايقت من اطالة نظره الى فتحة الفستان تحت عنقها، فنظره وقح يدل على انه سيتصرف بها كما يتصرف بثمرة يقطفها من شجرة. هذا رجل لا يغازل المرأة بكلام معسول او برقة ليلطف من خوفها. شعورها بالنسبة اليه ينحصر في ابقاء الثمرة مكانها او قطفها لابتلاعها.

«اسمعي ما سأقوله لك. انت لا تتذللين امامي، بل تتحدينني. هل تحديك هذا هو الأمل ام اليأس بعد ان وجدت ان زوجك الثري صعب المراس؟».

«انك تضحكني حقاً. الغبي وحده يعتقد انك سهل الانقياد. جسمك لين ولكن عقلك صلب. انت كحد السيف الذي يجرح بسرعة ولا تشعر بالنزع الا بعد ذلك بثوان».

«نزع؟».

مد يده الى علبة من خشب الأرز واخرج سيكاراً منها واشعله.

«هل يضايقك دخان السيكار؟».

«وهل يهمك امري ان تضايقت منه؟».

«لست متواضعة وبسيطة كما تحاولين ايهامي، اعتقدت بذلك مرة في السابق، غير اني اكتشفت ان مظهرك الخارجي المتحفظ والمتواري ما هو الا قناع تختفي وراءه فنيلا الحقيقية لتبرز في الوقت المناسب. وفي ظني اني بدأت افهم تلك الفتاة الحقيقية صاحبة التمشيطة البسيطة والتي تخفض عينيها خجلاً. فقد مثلت دور البنت العاربة المتخفية وراء عدم الاكتراث بالرجال تمثيلاً بارعاً».

«هذا صحيح!».

بدا ظل من العذاب في عيني فني لا يستطيع غيره اثارته كما لا يستطيع غيره ايلامها لأنه الشخص الوحيد الذي تعلقت به. الرجال؟ كانوا ظلالاً في هامش حياتها، عديمي الشأن وغير مرغوبين. وفي النهاية عندما استجابت لنداء الحب جلب لها هذا الحب الالام والمذلة بدل النشوة والسعادة.

«كنت عزباء، ولكن الم يجد الرجال فيك جاذبية كما وجدوا في بينلا؟».

«لم اعط بالاً مطلقاً لا لجاذبية بينلا ولا لجاذبيتي، ولم انظر الى الرجال على انهم شيء يجب الجري وراءه... امور كهذه كنت اتركها لبينلا».

تجهم وجهه وسألها:

«تعنين بذلك ان بينلا تحب المغازلة؟

واذا لم تكن بهذه الجاذبية في شعرها اللامع وطبيعتها المشعة لما لفتت الانظار. ومن الطبيعي ان يتغاضوا عنك عندما يرونها هي».

«وهل اعتقدت جدياً باني كنت اتأثر بذلك؟».

لم تحسد فني ابنة عمها على ذلك ولم تفكر في مجاراتها ابداً. وهي الآن تسخر ممن كان يظنها تريد لنفسها ما تحصل عليه بينلا. عاشت في بيت عمها لانهم رحبوا بها مرغمين وبدورها ارغمتها بينلا على سماع القصة تلو القصة عن مآثرها الغرامية وانتصاراتها على الرجال، او خذلانها في المقاعد الخلفية للسيارات. وسئمت فني من كل هذا وفكرت في استئجار شقة صغيرة. الا انها لم تفعل ذلك لاستحالة الحصول على شقة تلائمها في حي

محترم. فلازمت غرفتها الموجودة على سطح المنزل وكأنه عزاؤها الوحيد ان المنظر من هناك يشرف على حديقة الورود وانها تعيش فيها مستقلة بوحدتها ولها عالمها الخاص.

دام هذا الحال بدون اي تفكير الى ان التقت بهراكليون مفراكيس في بيت عمها فعكر عليها صفاء قلبها. واضطربت مشاعرها عندما بدأ هذا الرجل الذي لم يعرها اهتماماً يدخل احلامها في المنام وفي اليقظة بينما كانت بينلا محور نظراته وانتباهه.

«واعتقد انك كنت تتأثرين في الحقيقة واضعت الفرص الى ان اتتك فرصة اختطفت فيها ما تخلّت عنه بينلا... وهذه هي نقطة الخلاف التي ستظل تسمّم جو حياتنا وتجعل مذاقه مرّاً».

لم تجد ما تقوله اذ توجد في كل ذلك حقيقة مرة لا تنكرها، ولكي تدخل الى قلبها بعضاً من قوة المجابهة اخذت تتلهى بقضم شيء من الطعام ولكن ذلك كله لم يكن يفيدها كثيراً. كانت كمن يمشي على الماء.

ثلاثة اشياء لا تنسجم معاً في غرفة النوم، الهدوء وتكتكة المنبّه ودخان سيكارة. واحست بثانيها يضرب اعصابها وبثالثها يدير رأسها، ولكنها رأت ان تكتكة ساعة المنبّه تلهيها نوعاً ما عن تعاستها المتجسمة في رأي هراكليون فيها والذي اصبح راسخاً في رأسه كالاسمنت لا يمكن ازالته.

واملها في ازالته كأمل ابليس في الخروج من الجحيم، ونظرة اليه تكفي لأن تكشف عن تصلّبه في هذا الرأي.

وكلما حاولت ان تكشف من وجهه ما يدل على ما في قلبه برز لها وجه مقنّع لا حركة فيه. ولكنها تعرف ان كل فكره متجه الى بينلا ومرحها وطلاقتها. امضى حياته في شقاء وجدّ ولما ارسلت له الشمس شعاعاً في شخص بينلا تشبث به بكل قواه. وفي اللحظة التي كاد يمتلكه افلت من يده واتت فني لتقف في طريقه فحالت بينه وبين اللحاق بابنة عمها الى نيويورك.

هراكليون يوناني اولاً وآخراً ومهما عظم تلهفه الى امرأة فان ذلك لا يؤثر في احترامه للشرف والكرامة الشخصية والاخلاص للشرائع. فالزواج رباط مقدس، وقد يتلهف شوقاً الى بينلا ولكن فني هي الزوجة الوفية المحبّة التي يعاملها بالمثل امام الناس. رغم ان الامر يختلف كلياً في حياتهما

كان هراكليون واقفاً يدخن سيكاراً وعيناه ترميانها بسهامهما النفاذة، ويبدو انه عازم على عمل ما، فاطفأ سيكاره وقال:

«هل من الضروري ان تعطي وجهك شكل وجه الملاك الكئيب؟ تكفيني مشاكل البيت وهموم العمل، فابتسمي وتحمّلي».

«لماذا تتخذ مواقف كلها تصنّع لا تظهرك في خلقك الاصيل؟».

انها تحبه وتكرهه معاً لخشونة معاملته لها وتود لو تصرخ في وجهه لتقول بان بينلا لم تكن ملاكاً كما يتصور.

«تؤدي بي مواقفي هذه الى الاحتفاظ بك والابقاء عليك سليمة بدون ان اقصف رقبتك».

«انك متعلق بتكرار هذا النوع من التهديد يا هراكليون. نفّذه اذن».

«تنفيذه يغريني، صدّقيني».

رأت الغضب في التصاق شفتيه بأسنانه ثم انفرجتا عن ابتسامة هازئة لتزيد من وزن كلامه.

«اكرهك وانا مالك لأعصابي فقط، ولكن عندما افكر فيما قمت به لتحتالي عليّ يتملكني سرور لا يوصف بان أمد يدي وألوي رقبتك. وكما افهمتك سابقاً لا أستفيد من وزة مائتة».

اقترب منها ورفعها بعصبية جعلتها تترنّح.

«ماذا دها رجليك؟».

ازاح حمالات ثوبها عن كتفها ودفن رأسه عند رقبتها الناعمة وقال:

«انت شيطان ابيض الجلد مخادع، ولكني اريدك!

انت امرأة ووجودك هنا معناه انني هذه الليلة بالذات على ارض جزيرتي حيث النجوم تشعّ ناراً والهواء يعجّ بالحياة... هنا سيخرج الى النور ابن اليونان، ابن هراكليون. هل فهمت قوة قولي ومعناه؟».

فهمته واستوعبته، وولادة صبي له تعني نهايتها هي ونهاية حياتها الحلوة المرّة بجانب هراكليون على جزيرته.

تولّتها رغبة جامحة في مقاومته وبدأت تعاكسه وصرخت قائلة:

«لا يا هراكليون. ارجوك، اتركني! ارجوك، اتوسل اليك!».

«توسّلي ما طاب لك ولكني لن اتركك».

حملها بين ذراعيه بحركة وحشية ومشى بها ... ولكنها قاومته بكل قواها وكانت تضربه بقبضة يديها وتحاول ان تصدّه عنها.



بكراهيته والخوف منه والاشمئزاز من تهكّمه فيملّ منها ويتركها وحدها. وهكذا لا يصبّ كل اهتمامه على الشيء الوحيد الذي يفصل بينهما لا ليلة واحدة بل دائماً... وهو انجاب ولد له.

«انا... انا تعبة جداً. اريد ان انام...».

«تعبة؟ قد اكون عديم التفكير شرساً، ولكنك اخترت هذا الطريق بنفسك ولا تلومي الا نفسك».

مسحت دموعها بقفا يدها وقالت:

«اعرف ذلك. لماذا تذكّرني دائماً؟ ارتكبت خطأ جسيماً ويجب ان ادفع الثمن».

رفع وجهها اليه ورآه في ضوء المصباح فتياً جداً ولكن بلا روح. وكانت الدموع تسيل بغزارة وتبلل شعرها عند صدغيها. اما شفتاها فدلّتا على الم كمين لم يشك في صحته.

«تدفعين الثمن بطريقة او اخرى. ولكن يبدو لي هذه المرة انك لا تمثّلين، فان خوفك ودموعك حقيقية وانا لم اجبر امرأة في حياتي».

نهض من السرير وارتدى عباءة النوم وقال:

«نامي لوحدك... هذه الليلة. طابت ليلتك».

لم تتمكن من الرد عليه لألم في حلقها. اطفأ هراكليون النور ورأته ينسحب كطيف ويدخل الى شقته من الباب السرّي. دفنت فتى رأسها في الوسادة واخذت تئن من عذاب في الذهن وألم في الاعضاء. واعتبرت انسحابه بهذه الصورة هزيمة لها لا نصراً.

المحزن في وضعها انها تحب شخصاً ينظر اليها كسلعة لا اكثر ولا اقل. ويحز في قلبها ان تحاول المستحيل لتبعده عنها.

النتيجة هي الفراق لا غير.

وارتعدت لمجرد التفكير في انها قد تكون حاملاً الآن لأنها استسلمت له مرتين منذ زواجهما. اما هراكليون فاصبح على يقين من انها تكره اندفاعاته العاطفية.

تنهدت ونادته هامسة. واحست بحاجتها الى يديه الخشنتين اللتين تتلمسانها كأنها شيء ثمين، والى عاطفته الجياشة التي تصل الى حد الجنون

ورغم ذلك لا تتسبب لها في اي اذى.

استولى عليها قلق شديد ورغم ضعف جسمها نهضت من فراشها وانتعلت خفّها المطرز بطيور وفراشات من حرير. وتوجهت الى الخلوة فاستندت الى افريز الشرفة. وبدت لها النجوم قطعاً من الفضة البراقة او جواهر لا تطالها يد انسان...

وفاحت رائحة البرتقال والليمون في ارجاء الحقول فاختلطت برائحة الغار... وكان ينبت بكثرة في حديقة القصر الواقعة تحت الخلوة مباشرة.

وبينما هي واقفة هناك كتمثال من المرمر كان يأتي الى مسمعها صوت قيثار يعزف انشودة يونانية للأطفال. شغف اذنيها هذا اللحن الحنون. ترى من الذي يعزفه؟ هل يعزفونه لطفل زونار المحروم من الأم؟

ملأ اللحن سكون الليل بسحره، وعندما توقف شعرت فني بوحدة غريبة وبانفصال كلّي عن العالم بعد ان عاشت لحظات اللحن. وخيّل اليها ان هذا اللحن العذب الذي يعبّر عن افراح وأتراح عائلة مجهولة شاركتها حياتها عن بعد... انما يذكّرها بانفصالها وحسب.

اخلدت الآن بعد ان انفردت بنفسها تفكر بقلق في المستقبل... وسط هدوء الليل الذي لم يعكر صفوه الا تلاطم أمواج البحر. ويبدو انه قدّر لها ان تعيش لتأتي الى هذا المكان المسمى بتالودس، دون هاجس ينذرها مقدماً بان عليها ان تدفع ثمناً باهظاً مقابل تحقيق حلمها. انها تذكر كلام هراكليون الساحر عندما قال لها: «ليس الأمر هيّناً كما تصورت... انك ستسخرين هذا الزوج اليوناني».

هل كانت تأمل ان تلقى زوجها الحب؟ اذا كان هذا صحيحاً فأملها هذا لم يتحول الا الى عبء ثقيل على قلبها. وبينما يعاشرها هراكليون بجسمه يناجي بينلا في نيويورك بفكره وقلبه.

عادت الى غرفتها وانسلت تحت غطاء السرير دون ان تضيء النور. وصلّت الى الله ليمنحها حبّة من السعادة... ولكن دون ان تؤمن بأنها تستحق ذلك. فكما لم تلائمها احذية بينلا... كذلك المكان الذي تحتله الآن، يرفض ان يعطيها الراحة المشتهاة. لا يستوعبها تماماً.

والنتيجة هي ان الحذاء الزجاجي لم يكن بقياس سندريلا.

لملمت نفسها في فراشها اخيراً..

وشيئاً فشيئاً استسلمت لموجة من الاوهام اخذتها بعيداً عن كل شيء.

٥ ـ حياة مليئة بالتحدّيات . . .

اعتادت فنّي على حياة القصر في الاسابيع التي تلت وصولها الى الجزيرة، ومع مرور الايام وجدت متعة في هذا القصر الابيض الواقع على قمة تل يطل على البحر . . . حيث الطقس الرائع لم تشهد له مثيلا في حياتها . . . والبحر ذو الزرقة الصافية يبعث الأمل في قلوب اكثر الناس تشاؤما، وفنّي ذاتها لا تشكو من ضجر او حزن تحت اشعة الشمس الاغريقية، سيما وانها الآن زوجة هراكليون مفراكيس المقبولة من قبل الجميع.

اما زوجها فعامل لا يكلّ ولا يمل وكم من مرة يطير بالهليكوبتر في صباح يوم باكر ولا يعود الا بعد بضعة ايام . . . لانشغاله باعمال في اثينا او قبرص واحيانا في اسطنبول.

وغالبا ما يرافق زونار في سفراته فتبقى ادارة الجزيرة في يدي دمتري

القويتين الرصينتين. ولكن دمتري هذا لم يهضم بعد فكرة قبول فنّي في حياة العائلة. اما زوجته فقد وجدت فيها امرأة من الطراز الحديث ظريفة جدا ولكن متبرمة تنظر الى فنّي بفضول. وهذه الزوجة، واسمها ادلينا، لم تصادق فنّي تماما ولكنها ابدت استعدادها لمعاشرتها اكثر من زوجها. مضى على زواجها من دمتري خمس سنوات ولم يرزقا بطفل . . . الا انها تعترف لفنّي بانها تفضل هذه الحال على عناء تربية الاطفال وزوجها لم يتذمر من عقم امرأته التي يحبها حبا جما، لذا لم يفرض عليها حقه في صبي تنجبه كباقي اليونانيين.

وقالت بصوتها الحالم:

«انهم يبالغون كثيرا في تمجيدهم لأم الاولاد. وهذا الامر وحده يشوّه صورة الرجل اليوناني ويحوّل انظاره الى الاولاد فقط».

ابتسمت فنّي مجاملة ولم تبد رأيا. فهي تعرف مخاوفها السرية من انجاب طفل لهراكليون . . . لذلك فادلينا آخر امرأة تأتمنها على سرها.

واليكو ابن زونار بهجة للانظار ولكن مربيته تحب الاستئثار به وتظهر درجة ولو صغيرة من العداء لفنّي. وربما راودتها فكرة انها قد تكون واقعة في حب زونار وهو شاب جذاب جدا.

وبالرغم من تمتعها بالعيش في القصر الازرق فحياتها فيه مليئة بالتحديات. ولكنها لا تبالي بذلك. لانها لا تريد الظهور بمظهر الانهزامية المقهورة امام هراكليون الذي لا يحبها. هناك بارقة أمل في ان يلين ويغير معاملته لها ولكنها تعرف ان املها هذا ريشة في مهب الريح ومع ذلك تتمسك به. واذا تخلت عنه لن يكون مستقبلها الا فراغا مظلما لا تدخله الشمس.

تبدأ حياتها اليومية بالنهوض من نومها وسط جمال طبيعي اخّاذ يعطره اريج الليمون. وتستغرق في النظر الى الايقونات او سماع صوت الهليكوبتر وهي تترك المطار حاملة هراكليون الذي يسافر دون كلمة وداع، ولكنها تتقبل ذلك بشهامة وتدفن انزعاجها في ثوب الحرير الصيني المفضل لدى بينلا والذي يلائم شقرتها الفاترة.

بعد تلك الليلة الاولى في القصر اخذ هراكليون يتجاهل مزاجها فكان يأتي الى غرفتها ويخرج منها حسب هواه. وافهمها ذلك بقوله في صوت

حازم:

«انت زوجتي، ولا تتوقعي ان اعتبرك صورة عزيزة علي لأقبّلها وأعيدها الى مكانها. انت امرأة ويتوجب عليك ان تتعلمي كيف تقدمين البهجة والسرور لي أردت ام ابيت».

وهكذا وبالرغم من سر مخاوفها، على فنّي ان تتقبل ما يجيء لها القدر.. فبعد سبعة اسابيع على قدومها الى القصر الازرق عرفت انها حامل من هراكليون. ولكنها لا تريد ان تطلعه على ذلك وعزمت على كتمان هذا السر اطول مدة ممكنة ما دام هو يقصيها عنه، لانها تتعلق بخيط واه من الامل في انه قد يعفو عنها يوما ويستبقيها زوجة محبوبة ومكرّمة. واذا ارادت ان تستمتع بحياتها على هذه الجزيرة قدر ما تستطيع... فمن اجل المخلوق الصغير الذي ينمو في احشائها.

وكلما نظرت الى المشاهد الخلابة احست بشعور عاطفي يجيش في صدرها ونشوة تعتري حواسها فجأة. والعبير النفاذ يملأ الهواء ويفعم حتى مسام جسمها. وعرفت فني لماذا سمّوا الجزيرة بتالودس... فاغصان الاشجار تعج بالفراشات ذات الجمال الهندسي الذي لا يوصف، وكلما حركت الريح غصن شجرة طارت هذه الفراشات في باقة ساحرة من الالوان كما لو كانت اجنحتها مرصعة بالجواهر.

قلبها ينتشي بالجمال حتى انها تقول بنفسها بان الحياة هنا مهما كانت صاحبة جديرة بان تعاش وسط الطبيعة وسنة واحدة تساوي العمر كله.

لبست ثوبا قطنيا فضفاضا ونزلت حافية القدمين تحمل صندلها بيدها الى بيت صيفيّ بني على الطراز التركي فوق صخرة مرتفعة عن الشاطىء. ويتكون اثاثه من بضع طاولات ووسادة ضخمة تستعمل ديوانا. وتغطي ارضيته سجادة مشغولة باليد تنتشر عليها جرار من خزف مزخرفة بمختلف الصور والرموز. كانت فني تجد في هذا المكان راحتها الوحيدة.

وكلما غاب هراكليون عن البيت كانت تقصد محلّها المفضل فتقضي ساعات طويلة تصغي الى الموسيقى، يونانية وغيرها. وتقرأ المجلات الانكليزية التي يأتي بها زوجها من اثينا وتراقب طيور النورس والشاهين. وغالبا ما تبقى هناك حتى الغسق. ثمّ تنزل الى الشاطىء للسباحة في برودة الشمس الغاربة. وكانت افروديت رمز الحب في الاساطير اليونانية تسبح في

الماء لتستعيد عفّتها...

تعتبر فني هراكليون رفيقا لها لانه لا يتبع مسلك الازواج في علاقته بها. فهو لا يطلعها مطلقا على اعماله ونشاطاته ولا مخططاته للمستقبل. ما هي الا وصلة في حياته كما يؤكد لها ذلك كلما تمدّد بجانبها ونال منها مآربه. واحيانا يضيف قائلا:

«قد افتقدك يا مزّيفتي الصغيرة عندما اتخلّص منك فتذهبين لترتمي في احضان ثري تجعلين منه غبيا آخر يليق بك».

في ظروف كهذه تحاول الا تدخل معه في جدال... لأن تكون إلا كمن يضرب بيديه على الجدران.

ووجودها في القصر ينحصر في استقبال القادمين وتلبية طلباتهم، كما في اية محطة. وهراكليون يرحل عن القصر عندما تدعوه مشاغله. وعندما يعود يأتي اليها لحاجته ثم يتركها الى احدى كبريات المدن حيث قد يجد امرأة اخرى تنتظره وتفهمه احسن مما تفعل هي.

وبين كل سفرتين تسبح في ماء البحر تحت النجوم المتلألئة الساحرة لتخفف من ضجرها. وآلامها كثيرا ما تكون احتضارا لا تتحمله. ولا يبعدها عن هذا الوضع المؤلم الا صوت الهليكوبتر وهو يقترب من القصر وسط اضواء ساطعة تنير له الطريق. وعندها تستلقي فني على ظهرها وتتمتع بمنظر الهليكوبتر التي تقوم بدورة او دورتين كمناورة للهبوط. وقد عاد زوجها من رحلته الاخيرة قبل الموعد المحدد. مع ان زونار قال لها قبل الرحلة ان عليهما حضور مؤتمر في قبرص.

لم تتحرك فني من مكانها كعادتها في كل مرة او تهرع لاستقباله كأية زوجة محبة. ظروفها لا تسمح لها باظهار ما يكنه قلبها من حب. هو الذي يفرض عليها المظاهر الخداعة امام اخويه وامام الناس.

كانت جالسة على رمل الشاطىء ويداها على ركبتيها تنظر الى امواج البحر عندما سمعت وقع اقدام على الحصى تتجه نحوها. فتسارعت ضربات قلبها لعل القادم يكون هراكليون وقد اتى بحثا عنها، وظلت تحدق في البحر متظاهرة بعدم المبالاة. وكانت تتلهف بكل جوارحها ان يكون هو القادم لا غيره، واخذت تستنشق الهواء بقوة لتهدىء اعصابها. ولكنها فوجئت بصوت رجل جهوري يحييها:

«كالسبيرا، مساء الخير يا سيدتي».

خاب ظنها لأن صاحب الصوت لم يكن هراكليون كما كانت تأمل. واغاظها هذا حتى انها غرزت اظافرها في جلدها دون ان تشعر. وعرفت في القادم شخص زونار الذي توقف امامها وابتسم ابتسامة ودّ. فردّت عليه:

«مساء الخير يا سلفي. عدتما مبكرين... هل اتيت بمفردك وتركت زوجي يعمل في مكتبه؟»

وبدلا من ان يرد على ابتسامتها بكلمة لطيفة ظل واقفا دون ان يتفوه بكلمة واحدة، فرفعت فيّ رأسها وتطلعت في وجهه الجميل واستطاعت ان تميز فيه على ضوء النجوم المتعكسة في الماء نظرات صارمة فتوجست شرا، وقفزت من مكانها فامسكت بأكمامه وسألته خائفة:

«ما الامر؟ هل حدث شيء لهراكليون؟ يجب ان تخبرني... أسرع، والاّ جننت!»

غطى وجهه العبوس فشابه وجه هراكليون وقال:

«هل انفعالك هذا بسبب ما قد يحلّ به من سوء؟ هل ستموتين اذا فقدته؟»

«ليشهد الله على كلامي. طبعا سأموت! لا تعذّبني مثله! لماذا رجعتما بهذه السرعة؟»

«وقع لنا عارض بسيط... بحق السماء لا تستسلمي للاغماء الآن!»

امسك بها قبل ان تسقط مغشيا عليها. وحملها بين ذراعيه الى الغرفة الصيفية حيث مددها على الديوان بلطف لم تعهده في اخيه هراكليون. وركع على الارض بجانبها فأزاح الشعر المبلل عن وجهها واخذ ينظر في عينيها المرتعبتين. تطلعت فيه وسألته بصوت لا يكاد يسمع:

«عارض؟ هل أصابه شيء؟»

«نعم... لا تصرخي».

وضع يده على فمها وتابع: «انه قاس كحجر الصوّان اليوناني. اغمي عليه من جراء الانفجار ولكن لمدة قصيرة. واجرى الطبيب له عملية جراحية فأخرج بعض شظايا الزجاج من ذراعه وظهره».

توقف قليلا ليلتقط انفاسه ثم قال:

«كنت على موعد غداء مع... مع احد الناس، ولذا لم اكن هناك في

مبنى الادارة الرئيسية عند انفجار القنبلة. وهراكليون كان احد المحظوظين اذ قتل غيره من الرجال او شوهوا او بترت اجزاء من جسمهم».

كان كل جسمها يرتعد ولم تع ما تقول:

«يا الهي، لماذا تحدث اشياء كهذه؟ لم لا يسلك الناس مسلك المدنية؟ هذه بربرية... القاء القنابل والتسبب في آلام للناس لمجرد اختلاف في العقيدة السياسية. اريد ان اراه...»

«انه بخير، صدقيني. أعدناه بالهليكوبتر وهو الآن في غرفته يستريح. ولا اعتقد انك تستطعين التكلم معه لانه يغط في نوم عميق بسبب الأدوية».

«يجب ان اراه... اريد ان اطمئن».

وعندما حاولت النهوض لم يترك زونار لها مجالا لتتحرك وابتسم لها ثم قال:

«اؤكد لك انه كامل الجسم ولا ينقص منه شيء يا فنيلا. وسيعود غدا الرجل الآمر الناهي ولكنك ستريته يتألم من رأسه ويحمل ذراعه في لفائف بيضاء مما يعطيه مظهر الرجل المحارب، وعندها تستطيعين ان تتحكمي به وترغميه على ان يتبع ارشادات الطبيب وذلك بالاستراحة مدة اسبوع كامل بعيدا عن مشاغله المعقدة. اني لا افهم حقا كيف يترك رجل امرأة جميلة مثلك على جزيرة مثل هذه لتسبح وحدها في مياه الابجة وتنفرد بنفسها في المقصورة التركية كاحدى البنات المهملات. لا يليق بك مصير كهذا!».

«هذا مصيري، وانا لا اشكو منه».

ارتعشت شفتاها عندما تكلمت وخفضت جفنيها كيلا يلاحظ النظرة المائلة في عينيها، وقالت:

«اشكر السموات على ان هراكليون لم يتشوه كثيرا... اذا كان ما قلته لي حقيقة يا زونار. انه بخير اذا استثينا الجروح التي اصابته، أليس كذلك؟».

«لا اكذب عليك ابدا».

تناول يدها ومسح شفتيه بطرف اظافرها، وتابع يقول:

«ان اخي جدير بك في بعض النواحي وليس في بعضها الآخر. لا يجب

ان يهملك هكذا...».

«ليس بالدرجة التي تتصورها. كل ما هناك انه يحتاج الى عمله اكثر مما يحتاج الي. وقد اعتدت على تذمره من انه ليس سعيدا برفقتي. لست المرأة التي يحبها.. هذا هو الفرق وانت تعرف ذلك تمام المعرف، لا اريده ان يتظاهر بحب لا وجود له، اذ ليس من طباعه ان يتلون امام الناس. انه مستقيم عملا وقولا».

«تقصدين ان تقولي انه يبالغ في نزاهته».

«لا أحب هذه العبارة. انها لا تنطبق عليه».

«لا تنطبق؟ انا اعرف هراكليون اكثر مما تتصورين يا سيدتي. واعرف مدى بطشه اذا شك في نزاهة شخص ما، خاصة اذا كان هو المقصود».

«كانت لعبتي غشا. ولذا من غير المتوقع ان تكون معاملة هراكليون لي معاملة حب».

«ولكن لا احب معاملته الخشنة لك».

اختلس زونار نظرة خاطفة الى جسمها نصف العاري الا من لباس السباحة.

«انت خلقت لحب رجل لا يشغل عقله وجسمه بعمله فقط كما هو الحال مع اخي. بالرغم من احترامي لجرأته وشجاعته. تستطيعين ان تقدمي اكثر مما يقدمه هيكل جسمك....».

«ارجوك يا زونار، لا تتكلم هكذا....».

«هذا هو اوان القول والا فلا!».

«انك تستغل ضعف هراكليون الآن وهذا ليس من الانصاف بشيء. يجب ان اذهب اليه!».

حاولت ان تنهض غير انه ضغط بيديه على كتفيها وابقاها حيث هي وقال:

«ليس الآن. يجب ان تسمعيني حتى انتهي مما اريد ان اقول. انت تساوين عشرة من امثال ابنة عمك المتبهرجة. حاولت ان تغازلني، هل عرفت ذلك؟ وان تغازلني خلف ظهر هراكليون! نويت ان ألقنها درسا قاسيا بضربها!».

«هراكليون يحبها والحب خال من كل منطق ولن يكون فيه اي منطق.

والآن اتركني يا زونار قبل ان نتفوه باشياء قد نندم عليها».

«انا اعرفك يا فيلا، ولا يصيبني اي ندم على حديثي معك».

وضع يديها بين يديه وضغط عليهما واضاف قائلا:

«سحرك غريب وتحاولين اخفاءه واسمحي لي ان اقول لك ان عيني لم تقع في حياتي على سحر مثله. واؤكد لك انك تذهبين سدى في حياة رجل يقدم مشاغل اعماله على متعة الحياة وهي احتواء امرأة مثلك».

اخافها تحديقه فيها ونظرة عينيه الخبيثة.

قاطعته وصرخت في وجهه قائلة وهي تسحب يديها بعنف:

«لست من الفتيات السيئات كما تظن! فبينما تتباهى باحترامك لاخيك هراكليون توسوس لي بافكار شيطانية! خدش كلامك اذني وخاب ظني فيك. فقد كنت اعتبرك سيدا رقيقا».

«أهانك كلامي؟ وجدتك جذابة واريد اسعادك!».

«انا سعيدة بما فيه الكفاية... واكثر مما استحق».

«هل تعتقدين ذلك؟ كثيرا ما راقبتك على غفلة منك وانت تلهين هنا على الشاطىء كالطفل الوحيد. وتقلبين ما تقذفه الامواج وتنظفين الرمل من صدف البحر، وكل مرة كنت أهم باللحاق بك ولكنني امتنع عن ذلك. الا يدل هذا انه يهملك كثيرا؟ حياتك هنا عبودية».

«حياتي تخصني انا لا غيري واعرف ما انا فيه يا زونار. ولا يحق لك ان تقلب صفحات حياتي وتتقصى شعوري كما تتصفح كتابا او تبحث في زوايا غرفة مغلقة».

«اهتم بك كثيرا وهذا ما يعطيني الحق».

قرّب وجهه منها ورأت فيه وجها أثرت فيه احزان الحياة. له شفتان ممتلئتان وذقن اغريقية، وعينان سوداوان وشعر اسود فاحم يزيد من خطورة جاذبيته.

تملكها رعب شديد من هذا الرجل الذي يسري في عروقه عشيرة مفراكيس التي لا قلب لها. كيف تتصرف وهي وحدها معه في المقصورة الصيفية؟

«كما يتلاشى النهار في ظلمة الليل هكذا تلتجىء المرأة الى ذراعي رجل

يريدها بكل قلبه. ونقطة الضعف في الرجل هي حبه للمرأة».

«لي القوة ان اتغلب على المصاعب بدون العلاقة الخطرة التي تنوه بها. فقد يضربك هراكليون لانك تكلم... امرأته بهذه الطريقة».

«بلا شك، ولن تكون المرة الاولى التي فيها يذيقني ضرباته. هل يمكنك ان تتصوري اني كنت سهل الانقياد والتربية؟».

«انت قطعة من ابليس يا زونار. احبك ويحزنني جدا ان تحطم الصداقة القائمة بيننا. لا اصدق انك تريد حقا اقامة علاقة سرية معي. ربما هذه عادة فيك تتقرب بها الى كل امرأة تتعرف عليها».

«قولك هذا خبيث. انت تعرفين اني اجدك جميلة جدا واعتبرك ينبوع ماء رقراق في وسط حياة كلها رمال حارة. انا احسد هراكليون حسدا اعمى خاصة اذا كنت تحبينه!».

ردت عليه بصوت ناعم فيه تأكيد قائلة:

«احبه واعتقد ان حبي له سيدوم».

«تحبينه بالرغم من معاملته السيئة لك؟ في الكثير من علاقاته بالناس يتصرف هراكليون بخشونة وعدم لياقة. والفارق بيننا هو انني وشقيقي دمتري نشأنا في ظروف احسن من ظروفه صقلت تربيتنا. ولولا ذلك لكنا من رعاع الشارع. فقد عمل هراكليون أصلا في محجر الرخام الذي يملكه الآن وهو الذي انشأ اسطول الزوارق التي تنقل بضاعته الى المئات من الموانىء. منحه الله قوة الارادة وقوة ادراك الامور وهذا كل ما يهمه في اعماله وحياته. وفي ظني ان اعجابه بدفتر حسابات مرتب ترتيبا حسنا اكبر من اعجابه بامرأة ذات شكل حسن. وتقولين انك تحبينه...!».

لم تجب فني الا بكلمة نعم. وعادت بفكرها الى هراكليون فانقبض قلبها لمجرد التفكير في انه قد يكون في حال اسوأ مما صوره لها زونار. وفكرت بالجنين الذي تحمله في احشائها من هراكليون بيديه القويتين الخشنتين اللتين طالما عملتا بكد واجتهاد لاطعام والباس اخويه الأصغرين.

«انت تدين له بالكثير يا زونار. لا تنسَ ذلك».

«كيف انسى ذلك؟ انه شخصية فذة، وذو قلب كبير ولكن له طرقا لا يعرف اتجاهها، كما لا نفهم ما يعبر عنه وجهه فنيأس منه. ولكني قد ارتكب جريمة قتل للدفاع عنه!».

«ومع ذلك... انت تحاول ان توقعني انا زوجته في هواك».

«نعم، وسيلعنني الناس بسبب ذلك لان امرأة الاخ مقدسة في العرف اليوناني. انا انجذبت اليك ولا استطيع ان اقاوم ذلك. وانت من النوع الذي لا يقحم قلوب الناس، الا ان هدوءك وعظمة قلبك استوليا على روحي وتملكاها واطلب دمج روحينا معا».

«ارجوك، لا تحاول اي شيء!».

«انت موسيقى افكاري تلعبين بأوتار قلبي فتلبيينها».

«ولكن هذه الموسيقى مشؤومة ولعينة، وانت تعرف ذلك».

«حتى الاشياء المشؤومة فيها شكل من اشكال اللذة. فهل سينشأ ابني البكر على منوالي؟».

«ابنك طفل جميل ولذا يجب ان تكون له والدا صالحا».

«آه يا فنيلا، بالرغم من كل شيء ما زالت فيك بعض المزايا الصغيرة، ولا يثير غضبي اكثر من حب امرأة جميلة لرجل آخر وهي تعلم اني احبها».

«ارى ان اعوجاجك لا يصحّح».

وفي لحظة غفلة منه نهضت وكانت الآن خارج المقصورة فاخذت تصعد الطريق الى القصر ومشى هو وراءها. نثر هواء البحر شعرها حول رأسها وكانت شفتاها ترتعشان قليلا وعيناها تتلهفان لتريا هراكليون وتطمئنا على سلامته من الانفجار. وعندما صار زونار بجانبها لم تر فيه قوة الرجولة التي تبرز في منكبي زوجها ومشيته الخشنة التي تميزه عن غيره من الرجال.

زوجها... هراكليون، زوجها، ملقى جريحا من انفجار قنبلة... جريحا في الفراش. ارادات ان تطير لتصل اليه وترمي نفسها عليه. لا شيء يبعدها عنه الآن حتى ولا طبيعتها الانكليزية المتحفظة. اكتسبت شيئا من حرارة هراكليون منذ زواجها وهذا الشيء يسري الآن في دمها. اصبحت له روحا وجسدا سواء أحبها او لم يحبها. وحتى اذا فصل المستقبل بينهما، فستظل مرتبطة به كارتباطها بالحياة.

وعندما وصلا الى قمة الصخور توقفا قليلا ونظرا الى البحر. وعندها تذكرت انها نسيت ثيابها في المقصورة الصيفية. ولا تعرف كيف ولماذا، حاولت ان تغرز قدميها في الرمل وتمنت لو انها تتحول الى شجرة تين او

شجرة زيتون تغوص جذورها في اعماق التربة.

«يبدو كأني اتنفس التاريخ الاغريقي مع كل حركة من امواج بحر الايجة، هذا التاريخ المليء بالاساطير والحقائق حتى يكاد الانسان لا يميز بين ما هو اسطوري وما هو واقعي. اجد ارضكم فاتنة».

«واهلها؟ وعشيرة مفراكيس بالذات؟».

«مجموعة متغطرسين. معتزين بذاتهم كثيرا».

«نحن على صواب. فالصعود من مجاري الشارع الى القصور مفخرة لا يستهان بها. ومن ينظر الينا الآن لا يصدق اننا لم نكن في يوم من الايام من الملاكين».

«من يفكر في ذلك؟ انظر. انت في ثياب كغيرك من الناس والفارق هو انك تحمل ساعة من ذهب وخاتما ثمينا. وهنا في اليونان لا يميز الملوك عن المتسولين الا الملبس. وجوهكم فقط ممتازة».

«كيف؟ شكرا. وانا احب ذلك فيك».

لاحظت انها اربكته وانه فقد قليلا من الاعتزاز بالنفس. فارادت ان تصحح الاثر الذي تركته فيه فقالت:

«لا تسيء فهمي. انت بهي الطلعة ولكن هذا لا يعني اني سارتمي عند قدميك».

«انا لست هراكليون لتفعلي ذلك».

«لا هراكليون ولا غيره. انه الحب».

«كنت احب زوجتي يا فيلا والانسان لا يحب الموتى. هل يتوجب عليَّ كأرمل ان آكل العشب وانكر ذاتي؟ كلا، لن اذوب في الطبيعة!».

«ابحث عن فتاة طيبة وتزوّج منها، فان إليكو بحاجة الى أم».

«كل الفتيات الجميلات متزوجات من رجال شرسين. لا افهم كيف يجتذب الرجال الشرسون الفتيات الحسناوات. انا لست منهم وستجدين فيَّ محبا حنونا».

«حقا؟ هل تملك شهادة بذلك معلقة في غرفتك تشهد فيها النساء على مسلكك في الحب؟».

«جربي تري!».

عندما وصلا الى حدود بساتين الفواكه المجاورة للآثار

التفتت الى زونار وقالت:

«زونار، اريد وعدا منك».

«اعدك بكل ما تريدين».

رفع من طريقها غصن شجرة فمرّت من تحته وورائه يبتسم ابتسامة غريبة.

«اعطني وعدا صادقا بأنك ستتخذني صديقة لك وامرأة لاخيك. لا أريد مغازلات او مداعبات».

«هل سبب ذلك انك تجدينها مقرفة ام خطرة؟».

«انت تعرف مدى خطورتها. انا ملك لاخيك».

«من قمة رأسك الى اخمص قدميك يا امرأة اخي؟».

«اجل».

اعترفت بذلك وهي تشعر بأن هذا الامتلاك أثمن شيء لديها.

«تابعي حياتك هكذا وستصبحين أماً في فترة وجيزة».

«أحقا ما تقول؟».

«هذا واقع زوجات اليونانيين. هل هذا ما ترغبين فيه اكثر من اي شيء آخر؟».

لا. ليس اكثر من اي شيء! هل تريد ولدا يفصلها عن زوجها الى الابد؟ وضعت يدها على بطنها، كان الشيء الذي سيفصلها عن هراكليون موجودا هناك ينمو يوما بعد يوم انه جزء لا يتجزأ منها ويبقى لها اذا هي تخلّت عن زوجها باختيارها والا سينتزعه منها اذا بقيت. وهي تعلم ان جنينها صبي لان رجال مفراكيس لا ينجبون الا صبيانا على شاكلتهم، عصاميين وأشداء.

«تعالي يا ساحرتي الحزينة. دعيني ارافقك الى القصر».

تأبط ذراعها ولم تسحبه منه. لقد صنع هراكليون من أخويه رجلين مهذبين يعرفان انه سيقتلها اذا فقد ثقته فيها. وتجد متعة في الحديث مع زونار لانه الوحيد الذي لم يحكم عليها.

«يعتبر اليوناني ابنه مشعلا يضيء طريقه عندما تنطفيء شعلة حياته. ومن الاهمية بمكان ان تكون الزوجة اما لولد زوجها، واني لعلى يقين من ان هراكليون سينسى تحايلك عليه لتتزوجيه ... هل هذا ما تريدين؟»

زوجها، ينسى؟ ارتعشت عندما وضعت قدمها على عتبة القصر ودخلت البهو الكبير الذي يضيئه المصباح البرونزي كما يضيء اقواس منافذه.

«اسرعي وغيّري ملابس الحمام. اسرعي!».

كانَ زونار يراقبها وهي تصعد السلم. وفجأة توقفت والتفتت اليه. وابتسمت له ابتسامة امتنان لانه كان يجد في صحبتها بهجة له، وأرفقت ابتسامتها بكلمة لطيفة:

«أنت ترفع من معنوياتي».

«لا من مسلكك».

بادلها ابتسامة جذابة ذات معنى وهو ينظر الى جسمها الذي لم يختلف لونه عن لون العسل الاشقر.

وفيما هما كذلك سمعا صوت المربية تنادي سيدها زونار. ففوجئا بظهورها قريبا منهما بلباسها الاسود الانيق وياقته البيضاء المنشّاة. وشعرا بالذنب عندما تحولا بنظرهما اليها. فتوجهت بالكلام الى زونار متجاهلة فني.

قالت المربية:

«سيدي. ابنك اليكو لا يرغب في الأكل... وربما كان ذلك بسبب موجة الحر. ولكن من جهة اخرى...».

قاطعها زونار وسألها منفعلا:

«ومن جهة اخرى؟ معرفة الاطفال احدى مسؤولياتك، ولهذا استخدمناك».

تجمدت المربية في مكانها ورمت فنّي بنظرة سريعة وقالت:

«نعم يا سيدي. اعرف مرتبتي في هذا البيت».

وانسحبت ببطء. وتساءلت فني لماذا تكرهها هذه الفتاة حتى تعتبر الابتسامة المتبادلة بينها وبين زونار ابتسامة غير بريئة! الا انها ربما اغتاظت لان زونار لم يستقبلها بابتسامة لطيفة تبرهن لها انه يلتفت الى جمالها او يفكر بها كامرأة.

تعرف فنّي ان الرجال يقسون في كثير من الاحيان. وتعرف ايضا ان بين النساء من يحقدن الى درجة التسبب في الدمار. توترت اعصابها واخذت

تضغط بيديها على الافريز دون وعي حتى نبّهها صوت زونار وهو يقول:

«اسرعي الى زوجك».

تركته ولكنها رأت وجهه عابسا قليلا وهو يتوجه الى غرفة ابنه.

عندما وصلت فني الى غرفة هراكليون دهشت لانها وجدت الباب مفتوحا. وما ان دخلت حتى توقفت. كانت كاساندرا واقفة بجانب السرير تمعن النظر في وجه النائم.

«وماذا تعملين؟»

التفتت المرأة بسرعة. وبدا وجهها بيزنطيا اكثر من ذي قبل، مع الانف النازل بخط مستقيم من جبينها وشعرها القاتم والجلد الذي حرقته شمس اليونان. هذه المخلوقة التي تتجول في ضوء القمر وهي تتمتم لنفسها او تعزف على القيثار بأنامل سحرية هي نفس المرأة التي اشتركت في مقاومة العدو عندما كانت تأتي بالطعام والمعلومات والاخبار للثوار المختبئين في الجبال.

«هل السيد بخير؟».

اقتربت فني من السرير ونظرت الى هراكليون بقلق. هذه المرة الاولى التي تراه فيها بلا حول ولا قوة. كان وجهه مرتاحا وخاليا من تلك التجاعيد التي كثيرا ما ارعبتها عندما ينظر اليها بشراسة. كانت احدى ذراعيه خارج الغطاء تغطيها اللفائف من معصمه حتى مرفقه.

مرت بيدها على شعره بحنان وقالت متأوهة:

«آه يا هراكليون!»

ولكن هراكليون لم يتحرك. صحيح ان زونار قال ان الطبيب أعطاه دواء منوّما، ولكن هدوءه التام اقلقها، بل اخافها. وجفلت فني عندما لمستها كاساندرا وتكلمت معها باليونانية. وكانت تعلّمتها بسرعة فائقة حتى ان زوجها نفسه مدحها على ذلك بالرغم من لهجته الساخرة. كان يعني انها عبثا تأمل في البقاء طويلا بين اليونانيين.

قالت كاساندرا:

«السيد قوي. رأيت أشباهه في الحرب... لهم قلوب الاسود، وهذه الكنية تنطبق عليه».

«ما اعمق نومه! كم يبدو بعيدا عنا. فأنا المسه ولكنه لا يعرف اننا

بقربه».

ابتسمت كاساندرا لفني وقالت:

«هذا يفيده خاصة وانه لا ينام كثيرا. انه يكدح ليؤمن لقمة العيش لعائلته بعمله المتواصل ليل نهار. ولماذا؟ لانه كان يتضور جوعا وهو صبي. هل كنت تعرفين ذلك؟ كان يحرم نفسه من الطعام ليؤمن الغذاء لاخويه. صدف وان عرفته آنذاك عندما وجدني ملقاة على الارض نصف ميتة فاعتنى بي وأطعمني بعض ما كان يستعطيه او يقترضه او حتى يسرقه. والناس يحبونه لهذا لا لحسن وجهه. وانت تحبينه، أليس كذلك؟».

انهمرت الدموع من مآقي فني. وفجأة ارتمت بجانب السرير واخذت تبكي بقلب كسير مطوقة رجليه بذراعيها. وكان اجهاشها في البكاء متقطعاً ومتشنجاً تأثراً له. . . وتحسراً على نفسها لأنها ليست المرأة التي يريدها.

كانت كاساندرا في تلك الاثناء تواسيها وتربت على كتفها وتنصحها قائلة:

«ابكي ولكن لا تتمادي، من اجل طفلك».

ثم انسحبت من الغرفة واغلقت الباب وراءها. اذن كاساندرا تعرف! يا لها من امرأة غريبة حقاً. فقد كشفت سرها. يا الهي! ماذا لو اطلعت هراكليون على سرها؟

ظلت فني جاثمة بجانب زوجها ولم ترفع عينيها عن وجهه. اتاح لها هذا ان تتعرف على كل تفصيل من تفاصيل وجهه وملامحه كما هي. . . دون اي انفعال يغير من شكلها. كان يتنفس بانتظام وجسمه خامد كشجرة عملاقة اقتلعت من جذورها وبقيت حية بأوراقها الخضراء.

ولم تصدق ان هراكليون ممدد على السرير وهي خارجه اذ لم يصدف ابداً ان استيقظت فوجدته بجانبها. كان نهوضه من الفراش مع بزوغ الفجر، يتبعه فطور الصباح الذي يتناوله وحده. ثم يقضي فترة من الوقت في السباحة قبل البدء في عمل يومه او رحلة يقوم بها. والمؤلم في كل هذا انه بعد تمضية ليلته بجانبها في السرير لا يظهر عليه مطلقاً انه يحتاج اليها في اي شيء آخر غير صحبتها في الليل ورغبته العارمة في تجاهلها بعد ذلك. الا ان حياتها التعيسة المليئة بالألم والاهانة لم تؤثر في حبها له.

لم يزعج هدوء الغرفة غير تكتكة ساعة الحائط المسرعة بدقائقها الى

الأمام بينما لم تتحرك فني من مكانها وهي تستمتع بجو لم يكن هراكليون يسمح به في يقظته. اي ان تنسى عزة نفسها وتستسلم لعواطف قلبها فتكشف له عن حبها العميق وتسمح ليديها ان تتلمسا وجنتيه متى عنّ لها ذلك. وظلت تمعن النظر فيه وهي تعرف انه لن يفتح عينيه ويفاجئها في هذا الوضع. كانت مطمئنة الى ان تلك العينين الرهيبتين مغمضتان في الوقت الحاضر ولن ترهباها. . .

وقفت على قدميها وتنهدت، ثم انحنت فوقه وطبعت قبلة خفيفة على وجنته. تململ قليلاً فانقطعت انفاسها خوفاً واخذت تبتعد على رؤوس قدميها خشية ان يفيق على غفلة ويراها واقفة كالعاشقة المدلهة البلهاء. ولكنه عاد الى نومه العميق فخرجت مطمئنة وذهبت الى غرفتها.

وجدت خادمتها تعمل في الغرفة وتحضر لها غرفة الحمام. ابتسمت فني لهذه الفتاة وقالت لها بالانكليزية التي تفهمها:

«بقيت برهة بجانب زوجي».

كانت الفتاة تعمل في خدمة كاتبة اجنبية قبل ان تدخل بيت مفراكيس. اسمها آن ويعني أمّا في التركية. كانت مهذبة ذات جلد ناعم وعينين سوداوين. ولما اصر هراكليون على استخدام وصيفة لها سرت لأنه لم يأت بامرأة كأدلينا او اخرى تدفع بفني الى التزين والبهرجة. لأنها تحب البساطة والاعتدال في الملبس والزينة.

سألتها آن اذا كانت ترغب في ارتداء فستان خاص للعشاء. التفتت فني الى دولاب الثياب التي اصبحت ملكاً لها مع شبح بينلا الماثل في كل قطعة وقالت:

«كلا يا آن. اريد تناول عشائي في غرفة الفراندا كما تعرفين. لا اريد عشاء رسمياً مع العائلة هذه الليلة».

«فهمت يا سيدتي».

ابتسمت الفتاة التركية واخرجت من الخزانة قفطاناً طويلاً من الحرير وقالت:

«نحمد الله على سلامة السيد، ولكن من المحزن الا يعيش شعبانا بتفاهم وانسجام».

«انسجام! ما احلاها كلمة وما ابعدها عن التحقق. لا اعرف ماذا كان

يعمل السيد في مبنى الادارة العامة في قبرص لأنه لم يقل لي انه سيحضر المؤتمر او المحاضرة هناك. هل سمعت يا آن شيئاً مما يقوله الخدم او الموظفون بهذا الخصوص؟».

لم تظهر آن اي دليل على انها تعرف او تجهل حقيقة ان هراكليون لا يطلع زوجته على اسراره. اجابت الفتاة:

«سمعت يا سيدتي انهم انتخبوه رئيساً للجنة مهمة جداً في قبرص. فالشعب يثق في رجال من نوعه اكثر مما يثق في السياسيين، وللسيد شهرة في العدل والاستقامة».

«هكذا اذن. لم اعرف ذلك. هل تعتقدين ان له طموحات سياسية؟».

«لا يعرف للرجال قرار يا سيدتي، ويقول الرجال اننا معشر النساء سر غامض لا يفهمونه مع ان العكس هو الصحيح في اغلب الاحيان. والرجال لن يقبلوا بالتساوي بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بالعقل، وهم يفضلون اعتبار المرأة اهلاً لتسكن البيت فقط، ولا بأس من ذلك. ففيه بعض المتعة».

دخلت فنّي الحمام وغطست في الماء الدافىء المعطر وهي تقول:

«صحيح. لا يخلو من المتعة. فالنساء بطبيعتهن لا يملن الى مجابهة وقائع الحياة الصعبة ولا غنى للرجال عنهن. وهذه هي رومانسية حياتهن. هل يعتبرونني جارية السيد؟».

«هل يهمك اذا جعلوك في هذه المنزلة؟».

كان هذا الحديث يجري والوصيفة منهمكة في مساعدة فنّي على الاستحمام، واستطردت:

«السيد رجل حقيقي وكل اهل بتالودس سيقدمون الشكر لله على نجاته من الموت وبقائه حياً من اجلهم».

تأثرت فنّي كثيراً بهذه الفكرة وقالت:

«وهل يفعلون ذلك حقاً؟ هل للسيد هذه الأهمية في اعينهم؟».

«لا تنسي يا سيدتي انه مصدر رزقهم».

صبت الفتاة سائلاً زيتياً معطراً على جسم فنّي واخذت تدلكه بيديها الناعمتين. وكانت فنّي سهلة الانقياد بين يديها وسعيدة بأن ترى احداً يقوم على خدمتها ويعتني بها هذه العناية. ومما زاد في سرورها اطمئنانها على

سلامة زوجها. وفي نظر الناس هي زوجته... امرأة هراكليون... هذا له اهميته الكبرى. احتواها شعور بالسرور والمتعة من عدة نواح... سلامة زوجها، اعتبار الناس لها ولزوجها، لذا لم ترد ان تفسد هذه اللحظة بتفكيرها في المستقبل، اذ لا تجرؤ على التعمق كثيراً في المجهول.

«قولي لي يا آن. كيف يمكنني تقديم الشكر مثل اهل الجزيرة؟».

«اذهبي [illegible] وقدمي شيئاً له قيمته مثل ذهب او فضة».

«للدلالة على ان الممتلكات الأرضية لا قيمة لها اذا قارناها بالحب بين البشر؟».

«نعم. هو كذلك».

خرجت من مغطس الحمام ولفتها آن بمنشفة كبيرة. سألتها فنّي:

«الكنيسة على سفح التل فوق القرية، اليس كذلك؟».

«نعم يا سيدتي. لكن لا تذهبي الليلة، فقد يزعج هذا زوجك».

«سأذهب في ساعة مبكرة من صباح الغد بالسيارة الصغيرة».

فكرت فنّي في نوع التقدمة للكنيسة. كل ما تمتلكه من نفائس هو عقد اللؤلؤ واسوارة افروديت الذهبية. ستقدم الاسوارة لأنها لا تعطي اية قيمة للعقد الذي لم تلبسه منذ ان اهداه لها زوجها. اما الاسوارة فانها تحبها وكثيراً ما تستعملها في المساء. وشعرت بشيء من الأسى لفكرة التخلي عنها.

وبينما كانت آن تسرّح شعر سيدتها لم تنقطع فنّي عن التفكير فيما عساها تفعل بخصوص الهبة. فقالت:

«وهل ما نقدمه يجب ان تكون له قيمة في نفسنا فقط؟ هل يجب ان يكون شيئاً احبه انا كثيراً واحب ان البسه؟».

«لا يجب ان تكوني صارمة في تقديرك هذه الأمور يا سيدتي. فكلما ارتفع ثمن التقدمة زادت الفائدة التي يحصل عليها الكاهن من بيعها».

«هذا يريح بالي وهو منطقي. سيكون عقد اللؤلؤ احسن تقدمة».

ابتسمت فنّي وعزمت على تقديم العقد لانه لا يجذبها مثل الاسوارة التي قد تكون في يوم من الأيام كل ما تملكه على هذه الأرض. بواسطتها تستطيع ان تتصل به روحياً وعن بعد عندما لا تستطيع الوصول اليه.

«اشكرك يا آن. يمكنك ان تذهبي الآن وسأتعشى على انفراد تحت

النجوم».

«اسعدتِ اوقاتاً يا سيدتي».

بقيت في جالسة لحظة بعد خروج آن، ثم فتحت الجارور واخرجت منه اسوارة افروديت ولبستها لتستمتع بملمسها على جلدها الذائق.

ولكن اغتم قلبها فجأة واخفت وجهها بين يديها عندما غزا فكرها المستقبل المجهول واهواله. انها تختلف عن بينلا وعن غيرها ممن عرفتهن. لن تقع في حب احد كحبها لهراكليون ولن يضاهي حبها لزوجها حب آخر ابداً...

٦ - بداية النهاية

مد الخدم طاولة في الغرفة الخارجية التي يضيئها دائماً مصباح كهربائي معلق على الجدار يشع منه نور هادىء. كان غطاؤها ابيض ناصعاً والادوات من الفضة ويزين الطاولة اناء صغير فيه ازهار.

كان عشاؤها اكلة يونانية يسمونها موسّاكا وهي تشبه اليخنة عند العرب فيها باذنجان ولحم مفروم وجبن وبندورة مع البيض ورز وبصل بحجم الكشتبان. اما التحلية فكانت حلوى بالسكر المحروق مع الجوز.

تنشقت في نسيم المساء الذي يحمل اريج الازهار المتفتحة، وعلى غير عادتها اخذت تستمتع بوحدتها وانفرادها.

وانتهت من الطعام فوقفت عند الشرفة واتكأت عليها بقفطانها الطويل وخفها المطرز وكأنها أليس في بلاد العجائب. وفيما هي كذلك سمعت وقع

اقدام آتية نحوها. كانت القادمة ادلينا مرتدية قميصاً كله ثنيات وتنورة حمراء طويلة. ولما التفتت اليها فنّي انتبهت الى تسريحة شعرها المعقوص الى الوراء والى سحنتها التي يخفق المرء في قراءة تعابيرها. . . اذ لا فرق بين هذا الوجه وبين القناع. وشبهتها فنّي بصورة خارجة من قبر فرعوني.

عندما تعرفت على زوجة دمتري للمرة الأولى تكوّن لديها انطباع بانها متكبرة ولاذعة. ولكنها وجدت ان فيها خصلة التنكيت حتى في كلامها الذي قد يعتبر مراً لأول وهلة.

لا تخفي ادلينا عن الناس انها تهتم بنفسها الى درجة كبيرة. ولكن ذلك لا يؤثر في حب زوجها المتناهي لها. ومن العبث توجيه النقد اليها طالما زوجها يتقبل ذلك.

وتجد ادلينا ان الحب انفعال غير مألوف كالألم الممزوج بالنشوة. ودخلت في الحديث مع فنّي فقالت:

«اخبرني زونار انك تناولت عشاءك في ابهة خالية من الرفقة، فقلت لنفسي انه لا بأس اذا مكثت معك برهة من الزمن. هل يضايقك ذلك؟».

تقدمت ادلينا نحوها بخفة القط وبين اصابعها سيكار. واضافت تقول:

«لن ازعجك بحديثي. . . وهكذا تضرر جلد الأسد في بعض نواحيه. يمكنك اعتبار حياتك محفوفة بالخطر».

كانت فنّي تزن كلماتها في حديثها مع ادلينا. فهذه الأخيرة لا تزلّ في كلامها لشدة احتراسها فيما تقول، وحرصها على مظهرها وتصرفاتها. وهي تحب ان تكون موضوع حب واعجاب الغير، ولكنها لا ترد الثناء بالشكر او بكلمة لطف. اما رأيها في الحب فهو انه يسبب القلق والهموم والتجاعيد في وجه المحب. ولذا تبتعد عنه قدر الامكان.

لم تفهم فنّي معنى عبارات ادلينا عن الخطر فقالت:

«حياتي في خطر؟ لماذا؟».

«هراكليون رجل خطر. ورغم كونه مثيراً للاهتمام فهو صعب المراس كأي حيوان مفترس. وانا اعرف موقفي من زوجي الذي له شكل هراكليون ولكن من دون صفاته المقوتة. فدمتري لا يهتم مثلاً باني لا ارغب في انجاب اطفال له. وارى ان حياتك مع هراكليون حياة اختبارات

شاقة. منها انه لا يتسامح مع من يرفض او من يستعمل كلمة «لا»».

لم تعلق فنّي على قول ادلينا بشيء، اذ لا تحب ان تحشر حياتها الخاصة في مناقشات عقيمة. وهذا مما اغاظ ادلينا التي ابتسمت ابتسامة صفراء وقالت:

«تغيظني بعض الانكليزيات بسبب تحفظهن. هل تعرفين ان فيك جمالاً احسدك عليه، وقد اغار منك اذا حاول دمتري التودد اليك كما يفعل زونار».

كانت وهي تكلم تتفحص بعينين شبه مغمضتين شعر فنّي المتهدل على حرير القفطان. وعنقها الكثير البياض بالمقارنة مع لون الحرير العنبري. اما فنّي فانها تململت في مكانها وتصاعدت ضربات قلبها. . . ولكنها قالت:

«زونار يقع تحت تأثير معظم النساء، وهذا لا يعني شيئاً بالنسبة الي. . . ».

«من المستحسن الا يعني شيئاً يا عزيزتي. هراكليون شيطان كريم ولكنه يضع خطاً فاصلاً بينه وبين من يحاول مشاركته امرأته حتى لو كان الشريك اخاً له. وعاطفة الرباط العائلي عند اليونانيين اقوى رباط في العالم. فهل تحبين ان تنتمي الى سلالة يونانية حتى لو كانت عصامية بنت نفسها بنفسها؟».

«هذا مدهش جداً ومثير للفخر».

«لا تنسي اندفاع العاطفة. والمزعج لدى اليونانيين هو الحب. فاذا غزا الحب قلب احدهم فانه يقع فريسة لهياج عاطفي لا يرحم. ولذا فانهم يفضلون طريقة الزواج بالتسوية. فزواجي بدمتري تم على اساس اتفاق بين عائلتي وهراكليون. قدمت بائنة او مهراً لزوجي كما هي العادة عندنا. وهذا يمنحني صفة استقلالية لا تحصلين انت عليها».

فكرت فنّي بحبها لهراكليون على انه المهر الوحيد الذي قدمته. ولكنه تجاهله كلياً واهتم بمهر من نوع آخر. . . جسمها الذي يثير فيه البهيمية اليونانية الفطرية.

«ارى في زواج التسوية او الاتفاق عملية تجارية خالية من اي احساس. فما هو مصير فتاة لا تملك مهراً؟».

«يقضي عليها بالبقاء عانساً... او تصبح عاشقة خفية لرجل متزوج. اليونان بلد قاس ويلزم الأجنبية درجة كبيرة من الاقدام لتتزوج من يوناني... خاصة اجنبية مثلك انت».

ظلت فني تنظر الى الظلام في الخارج لكنها قالت بشرود:

«مثلي انا؟ هذا صحيح، فقد سلكت طريقاً معقداً ووعراً».

ضحكت ادلينا للتشبيه عندما قالت:

«قصتك تشبه تمثيلية اغريقية. طبعاً، نحتفظ بذلك سراً في العائلة وفيما بيننا يا فني. ولم اجد صعوبة في معرفة كل شيء من دمتري. هل ما زال هراكليون مولعاً بابنة عمك؟».

«عندما يحب اليوناني فانه يحب حتى النهاية. الم تقولي ذلك؟».

«وعندما تحب امرأة انكليزية؟».

توقفت قليلاً لترى مدى تأثير هذا الكلام في فني، ثم قالت:

«انت تحبينه، اليس كذلك؟ وما القوة التي دفعتك للقيام بهذا العمل الجريء الا استلهام من حبك القوي له. ولولا جمالك الفتان لدك هراكليون عنقك لانتحالك شخصية بينلا. مسكينة انت! مهرك جسمك».

ها قد اوضحت ادلينا بالعبارة الصريحة ما كانت تفكر به هي في الخفاء.

ولا يا فني. ليس الوضع بالسوء الذي يتخيل اليك. هل تخجلين من ذلك؟».

اجابت فني بأنفة وبشيء من الشراسة:

«اخجل؟ كلا! انا لا اخدع هراكليون في اي حال من الأحوال. ولذا لا يؤنبني ضميري مهما كانت اسباب ... عذابي».

«من يسمع ذلك منك يظنك يونانية. تضحيتك بنفسك. اشكر الله على اني لست في وضع يدفعني الى التضحية بكل شيء في سبيل الحب. انت تسببت في الكآبة لنفسك. كوني مثلي! اقلبي صفحة حياتك وتعلمي ان تأخذي اكثر مما تعطين. وهذا ما يحبه الرجال في المرأة. الا تعرفين ذلك؟ انهم يتضايقون من المسلك الملائكي».

تصورت فني زوجها خاضعاً لنزواتها فابتسمت. وبعد برهة قالت:

«يتهمني هراكليون باني ممثلة من الدرجة الأولى. واذا قلدتك واتبعت

مشورتك فسيتهمني باني اطمح الى الحصول على جائزة اوسكار للتمثيل».

سألتها ادلينا مدهوشة:

«اوسكار؟ ما هو الاوسكار؟».

«جائزة تمنح لاحسن ممثل او ممثلة في فيلم سينمائي».

«فهمت. اذن يعتبر سلفي انك تلعبين دور الزوجة المحبة. وما هو اعتقاده في زواجك منه؟».

«لأصبح... غنية. كنت اعيش في بيت عمي وكنت طبعاً ابنة الأخ المحرومة. وفي نظر هراكليون اما ان يكون الشيء ابيض واما ان يكون اسود. ولا لون اخر بينهما. تماماً مثل نور الشمس الذي يجعل ظل الاشياء قاتماً».

«بما ان هذا هو رأي هراكليون النهائي فيك ويعتبرك امرأة مرتزقة، عليك اذن ان تستغلي تقديره لك. اخبريه بانك تحتاجين الى ثياب جديدة وسآخذك معي بالطائرة الى قسطنطين خياطي الخاص في اثينا. انه خياط ماهر ويوسع هراكليون ان يتحمل المصاريف. ما رأيك؟».

ارتاحت فني لهذا التغيير في مجرى الحديث وقالت بحماس ظاهر:

«كم اشتهي ان ازور اثينا. لست ممن يعبدن الثياب ولكن زيارة العاصمة احلى شيء لدي».

«لا توجد مدينة اخرى تضاهيها. وربما صعدنا الى الاكروبول المدينة الاثرية الواقعة على مرتفع، ولو ان ذلك سيجهدنا قليلاً. وهناك ستعجبين باثار البارتنون الذي شيد اكراماً لاثينا رمز الحكمة والبسالة، وافضل ساعة لمشاهدته هي ليلاً في ضوء القمر عندما تبدو الاعمدة بيضاء. لا أحبذ زيارة هذه الاماكن في النهار اذ تبدو كلها رمادية اللون. وينزعج الانسان من ازدحام السياح الذين يأخذون صوراً تذكارية لبعضهم البعض اكثر مما للاماكن التاريخية».

«هل تعرفين لندن؟».

لم تكن ادلينا في لندن يوم زواج هراكليون، وذكر لندن عاد بفني الى ذلك اليوم العصيب الذي تقرر فيه مصيرها فاصابتها رعشة. لم تقو على البقاء واقفة. جلست على كرسي خيزران، وكانت تحس بأن اطراف اصابعها تؤلمها لانها تحاول دائماً غرزها في اي شيء عندما تكون متوترة الاعصاب.

لا تستطيع ان تكون مثل ادلينا التي تبقى غير متأثرة بشيء، مسترخية لا تجهد نفسها ابداً بإبداء عاطفة او انفعال اشبه بقطة كسولة.

«افضل باريس، واعترف لك بأن لي هوى كبيراً هو هوى الملبس. ومن حسن حظي ان والدي يمنحني دخلاً مستقلاً يأتيني من اعمال البواخر والا لافرغت جيب دمتري. قولي لي. هل خطر لك ان تتساءلي عن زواجي منه؟».

«اصدقك القول ان هذا لم يخطر على بالي. انه [illegible] وانت شيء خاص في نظره. كيف تقاومينه؟».

«شيء جميل ان تكون المرأة على هذا المستوى الرفيع في عيني زوجها. هل تحسدينني على ذلك؟».

لاحظت فني ان ادلينا كانت تتفحص اسوارتها المرصعة. ولكنها كانت منشغلة بكلماتها ولم تستطع تصور هراكليون وهو يرتمي على قدميها. كله كبرياء ورجولة، شيئان فيه لا يتنازلان عن قاعدته ويرفعان امرأته عليه. وتعرف فني انها سترتمي بين ذراعيه بدل ان يرتمي هو بين ذراعيها.

قالت ادلينا بذكاء:

«نحن امرأتان تختلف الواحدة منا عن الاخرى. تنقصك تعابير امرأة فيها عاطفة الرجل. واكتفي انا بأن يعجب الناس بي. ولكني لا اعتبر انجاب طفل لزوجي اسمى درجة من درجات الانوثة. ربما تقبلين بذلك. ولا شك ان هراكليون يطالبك به».

اقتربت ادلينا من فني وقالت وهي تمعن فيها نظرها:

«لاحظت شحوباً ظاهراً في وجهك في المدة الاخيرة... هل انت في وضع خاص؟».

«كلا!».

اجابت بالنفي لعدم ثقتها في ادلينا التي قد تبوح لدمتري بانها حامل. لا تريد ان يعلم هراكليون في الوقت الحاضر. لأنها تنفر من حديثه الذي سيدور في كل ساعة وكل حين حول ما في احشائها. وسيرى في ذلك ليس ثمرة حب لزوجته بل انتصاراً واخذاً بثأر رجل احتالت عليه امرأة.

والسخرية المرة هي ان هذا الطفل سيفصل بينهما. فحياته ستكون بداية النهاية بالنسبة للعلاقة القائمة بين والديه.

«تبدين متأكدة من قولك، وماذا يعني هذا الظل الداكن الموجود تحت عظمة الوجنة؟ ام انك تريدين حمية في الأكل كما يظهر لي من هذه الاطباق الفارغة؟».

«ربما اثر فيّ الحر وافقدني شيئاً من وزني. طقسنا غير هذا في انكلترا».

«ساموت اذا عشت في بلد بارد. احب التردد على بيوتات الازياء ولكنني افضل العيش على هذه الجزيرة».

واردفت القول بالفعل عندما تمطت باسترخاء بينما قالت فنيّ مبتسمة:

«جزيرة الفراشات».

«احب هذا الوصف. اتركك في تأملات العروس. وانا سعيدة بخروج هراكليون سليماً ومعافى من الحادث. ليلة سعيدة».

خرجت ادلينا وهي تدندن لحناً يونانياً، قانعة تماماً بحياتها على جزيرة بتالودس. وبقيت فني الى ان تسرب البرد الى الغرفة فذهبت الى غرفة هراكليون ودخلتها بهدوء لتتأكد من انه على ما يرام.

كان ضوء الصباح باهتاً، وفوجئت كثيراً عندما انحنت فوقه ورأته مفتوح العينين ينظر اليها.

«هراكليون... اوه!».

«هالو. اشعر كأن الوقت يتباطأ. منذ كم وانا نائم؟».

«منذ ساعات. كيف حالك؟».

كان قلبها يخفق بسرعة عندما نظرت اليها تلك العينان المخمليتان.

«لا اشعر باني انا نفسي. كل ما اتذكره وميض قوي وضربة على رأسي. ماذا حدث؟».

«انفجار قنبلة وضعها ارهابي حيث كنت. كنت محظوظاً...».

«اي ان غيري قتل؟ وزونار؟».

«كان يتناول طعام الغداء مع احدهم في مكان ما».

«صحيح، تذكرت قال انه سيزور صديقاً جامعياً قديماً. واظن ان هذا الصديق فتاة».

بانت اسنانه في ابتسامة بسيطة ثم عبس وقال:

«انه من سخرية القدر ان يموت الناس وهم يحاولون ان يجلبوا السلام الى قبرص. اذن ارجعوني جواً وناموني في الفراش كالطفل. شيء من هذا

لم يحصل لي من قبل!».

«هل تشعر بشهية للأكل؟ لم تتناول شيئاً منذ ساعات ولن يضيرك ان تطلب ما تشتهي».

«حقاً انت زوجة قلقة ومهتمة بي. هل تفجرت عواطفك وتبدلت طباعك يا عزيزتي؟».

«لا تكن فظاً!».

«آه، كم تتألم هاتان العينان».

دس اصابعه في كم القفطان العريض وضغط على جلدها وقال:

«لك ابتسامة لطيفة وحلوة [illegible]. الست [illegible]؟ والآن، انا متأكد ان املك قد خاب عندما اخبرك زونار بأنك لم تترملي. يا للخسارة! سيبهر جمالك الناس وانت في ثوب اسود يزيد من فتنة جلدك الابيض وبهاء شعرك الذهبي».

«انت بهيم يا هراكليون، ولا اريد ان افقد اعصابي بسببك. هل تريد شيئاً من الطعام؟».

«فنجان قهوة تركية يا [illegible] الحارس. خبز اسمر مقمر مع طبق ساخن من الحلزون بالزبدة مطبوخ بالحشائش والخل».

انتظرت حتى تختفي ابتسامته الماكرة، وقالت:

«ستحصل على ذلك. . . اوه يا هراكليون، انت لا تتلف، وكل واحد سعيد بنجاتك».

«وهل انت سعيدة ايضاً؟».

«يذهلني طلبك. حلزون وقهوة تركية في هذه الساعة المتأخرة!».

«طلبت ما اشتهيت».

انقبض قلبها ولكنها قالت:

«يا ممالق! سأذهب واطبخها بنفسي».

«انت؟».

«لست خرقة بالية او عظمة عتيقة. اخذت دروساً في الطهو واصول السلوك وادارة المنزل بدون حيوانات. فعمي كان لا يطيق وجود حيوانات في البيت. . . شعرها يتناثر على المفروشات وغير ذلك. . .».

«وعليه جعلت كلباً يلتمس بالحاح».

«واستوليت على اسد».

جلس في سريره فرتبت الوسائد وراء ظهره، وقارنت بين بياض اللفائف ودكنة جلده وسألته:

«هل تؤلمك ذراعك؟ لن يطول بي الوقت في المطبخ».

«الألم في ذراعي يهون. لا تزعجي نفسك بطبخ الحلزون يا سيدة. قطعة ساندويش تكفيني».

«ستحصل على ما اشتهيت يا سيد».

«متى اصبحت عاطفية تتأثرين بخدوش في ذراعي وبألم في رأسي؟ لا تنسي القهوة».

«لا يا سيدي».

تناول سيكاراً بعد ان تركته متوجهة الى المطبخ الكبير حيث رئيس الطباخين يحكم كملك اثناء النهار. اما الآن فكل شيء هادىء هناك والاضواء مطفأة. اشعلت في النور وذهبت الى البراد فأخرجت منه بعض الحلزون المجمد الذي لا يخلو منه لأن هراكليون يحبه كثيراً. بدأت تطبخه وتركته في المقلى ليغلي بينما اخذت في تحضير القهوة. قطعت شرائح خبز واحضرت صحناً من الزبدة وضعته على الصينية.

كانت منهمكة في عملها ولم تنتبه الى شخص طويل القامة يقف في الباب الا عندما قال:

«هل معدتك خاوية؟».

التفتت الى الصوت وابتسمت لزونار:

«استفاق هراكليون وبطنه خاوية. اشتهى حلزوناً وانا مستعدة لتحضير وجبة بأربعة اطباق لو اراد ذلك. يسرني ان يعود هراكليون كما كان».

«هل بدأ اهاناته لك؟».

«اهانني حوالى ثلاث مرات».

«يعني انه استعاد نشاطه».

«تقريباً. المتألم لا يتكلم هكذا».

افرغت مقلى الحلزون في صحن وصبت عليه الصلصة. وتبلته بقليل من الثوم والملح والفلفل.

«افهم من كلامك انه يفضل اكل الحلزون على اراحة رأسه في

حضنك. انا اعرف ما افضله شخصياً بين هذين الشيئين».

«يشعر هراكليون بالجوع ويجب تغذية جسمه ليقوى».

وضعت شوكة خاصة للحلزون على الصينية مع فوطة والخبز المقمر.

كانت تبتسم وهي تجهز ذلك، سعيدة لأنها تطبخ لهراكليون، وتمنت لو تسنح لها الفرصة لتجهز له طعامه بيدها، ولكنهم لن يسمحوا لها بتغيير نظام القصر. اذ سيزعج ذلك الطباخ اليوناني. وسيشكو هراكليون من انه لا يدفع معاشاً الى طباخ محترف كي يقوم بالعمل طباخ مبتدىء.

«احمل ابريق القهوة يا زونار وتعال معي لترى اخاك وتسمعه كلمة اخوية لطيفة».

«يا امرأة اخي العزيزة، سيقفز من فراشه كالمجنون اذا تجاسرت وقلت له اننا سعداء بسلامته وبقدرته على ان يجعلنا نركض لتنفيذ اوامره».

تبعها زونار وهو يضحك لأنه يحمل الابريق وقال:

«اشبه خادم مطعم يوناني يحمل القهوة للزبون».

«لا يضرك شيء اذا كنت نافعاً. وارجوك، لا تزعج اخاك».

«يا فتاتي العزيزة. هراكليون ملك الغابة وما انا الا احد الاشبال التي يروضها».

دخلا الغرفة وزونار يضحك مما قاله لتوه. وصرخ في وجه اخيه:

«ها نحن اتينا اليك يا هراكليون لنخدمك بألذ طبق تذوقه في حياتك».

«الحلزون ام امرأتي؟ رائحته تفتح القابلية».

دقق هراكليون النظر في اخيه قبل ان ينظر الى فني وهي تضع طاولة صغيرة بأربع ارجل على ركبتيه.

«ارجو ان تجدها كذلك. هل انت مرتاح؟».

«جداً».

رفع الغطاء عن صحن الحلزون فتفتحت خياشيمه. وتناول الشوكة فبدأ يأكل بحركة الخبير المعتاد. رفع حاجبيه اعجاباً وقال وهو يمضغ الطعام:

«كمية الثوم التي وضعتها هي المطلوبة، لا اكثر ولا اقل. . . مدهش».

«فني تملك شيئاً اخر غير الوجه الحسن».

جلس زونار متراخياً في كرسي كبير، ولم يعلق هراكليون على قوله بشيء

لانهماكه في الأكل بشهية ظاهرة. واضاف زونار قائلاً:

«كنت على قيد انملة من الموت يا شقيقي. مات الكثير من اعضاء اللجنة».

انسحبت فني من الغرفة لتترك الاخوين وحدهما. وحمدت الله على سلامة زوجها الذي يرقد الآن حياً في سريره الضخم بدل ان يكون جثة هامدة مع الاخرين من رفاقه. تعرف فني ان هراكليون سيتألم لهم، وفرحت لأنه وجد طبخها تماماً حسبما يشتهي. وذهبت الى فراشها لتنام على صوت حديثهما في الشقة المجاورة.

عندما فتحت عينيها صباح اليوم التالي كانت غرفتها غارقة في ضياء الشمس، مما دل على انها تأخرت في النوم. هراكليون! فكرت به في الحال فهرولت مسرعة الى غرفته. وارتدت عباءتها وهي في طريقها اليه.

وجدت فراشه خالياً والاغطية ملقاة جانباً. ما هذا؟ كيف ينهض من فراشه وهو ما زال في حاجة الى الراحة؟

«اسعدت صباحاً يا سيدتي».

التفتت الى مصدر الصوت. كان هراكليون واقفاً في باب الشرفة ينظر اليها مبتسماً.

«تعالي هنا لأريك شيئاً».

«لماذا لا تبقى يوماً اخر في الفراش يا هراكليون؟ نصحك الطبيب بان تترك الأمور تأخذ مجراها».

«وهذا ما سأفعله. تعالي».

مد يده داعياً اياها لتذهب اليه. وخرج كلاهما الى الشرفة فلفت نظرها الى البحر. رأت سفينة شراعية تمخر عباب الماء الازرق كأنها زورق قراصنة على اهبة غزو الجزيرة. وتذكرت غزوات القراصنة عندما يهجمون على الجزيرة ليسلبوا اهلها ويسطوا على بناتها اللواتي كانوا يخطفونهن في كهوف الجبال.

كان البحر يضاهي السماء صفاء وزرقة. وبعد ان اعطى هراكليون فني مهلة كافية للتأمل قال:

«هذه هي كرينيا. خرجت لتوها من المشغل البحري عروساً جميلة لتقوم برحلتها الأولى. هل تحبينها؟».

«هل السفينة لك؟ لم ار ابداً سفينة بهذا الجمال. تذكرني بصور لسفن القراصنة. سفينة كهذه لا تخص غيرك».

«هل تشتهين ان تكوني على ظهرها في جولة على بحر الايجة؟».

لم تصدق ما سمعت من حلو الكلام. هل صحيح ان هراكليون يدعوها لترافقه على السفينة الى مكان ما... اي مكان... الى السماء؟

«هل انت بحارة ماهرة؟».

«لا اعلم. لم يختبرني احد بعد».

لا تصدق حقيقة انها سترافقه في رحلة بحرية على ظهر سفينته التي يزين مقدمتها رأس كرينيا العاشقة الاسطورية، واشرعتها تشبه اجنحة الطيور.

اجل، انها تتوق الى هذه الجولة. فهناك العديد من الجزر تحلم باستكشافها. ولكن مهلاً... فقد حدث مرة في السابق ان ارادت الحصول على شيء. وعندما كادت تناله نظر هراكليون اليها باحتقار وزجر بصوته الخشن قائلاً بأن عليها ان تعطيه ولداً اولاً...

كلا. لا تستطيع مرافقته... لا تستطيع التمتع بهذه الرحلة وهي تنتظر مصيرها المجهول. ولكن بدا ان الأمور تسير حسب امانيها عندما قال:

«سأخبرك انا. سنبحر على ظهر السفينة هذا الصباح».

التفت اليها ولما رآها في حال تفكير عميق سألها:

«ما الأمر؟ الا تتلهفين لتكوني وحدك معي على متن السفينة؟ وهل عنايتك بي وانا في فراشي الليلة الماضية تتوقف ونحن في البحر؟ اذا كنت لا تحبذين فكرة الرحلة لن اجبرك على مرافقتي. لن افعل ما كان يفعله القراصنة عندما يخطفون فتيات الجزيرة ويحملونهن على سفنهم. استعملي حريتك ولن اضغط عليك. هل اتفقنا؟».

«نعم. يمكنك اخذ زونار».

كان ممسكاً بيديها فضغط عليها بشدة الى ان آلمها وقال:

«آخذ اخي؟ هل تعتقدين انك المرأة الوحيدة في حياتي؟ اذا كانت الرحلة لا تروق لك فسأجد من هي اكثر لهفة لتحل محلك في السرير. ربما ندمت على خدمتك لي البارحة... والآن تبتعدين عني بينما انا على وشك تحريرك تماماً وتحويلك الى امرأة ثرية».

جفلت فني كما لو انه صفعها على وجهها.

«سأفعل ما تريد يا هراكليون. سأرافقك في رحلتك كما تقول...».

«اليك عني!».

دفعها عنه فجأة فارتطم صدرها بسياج الشرفة وصرخت من ألم شعرت به في اضلاعها. تشبثت بكلتا يديها كيلا تسقط ولكنه لم يتحرك من مكانه. وقالت له وهي لا تستطيع حتى التنفس:

«انت اقسى من الفولاذ يا هراكليون. انت... انت لا تريد ان تفهم وضعي ولهذا فانك تتعامى بقسوة وتفسر كل دوافعي حسب اهوائك. لا شيء يغير من طباعك... لا شيء حتى الاقتراب من الموت!».

زاد تجهم وجهه وقال بجفاء:

«اجل! لماذا تريدينني ان اتغير او لماذا اغير رأيي فيك؟ نحن ما زلنا حيث كنا يوم اقتحمت باب حياتي. لم يتبدل شيء منذ ذلك الحين. والآن اعذريني. اغربي عن وجهي... لا يكفيني ما انت عليه، فانك تذوبين قلقاً على اخي كما لاحظت الليلة الماضية! تمثلين دور الزوجة المتواضعة وتخفين غمك وراء ابتسامات حلوة زائفة تخزنينها لتظهريها على شفتيك عند الحاجة. واشكر السموات على اني ساغيب عنك مدة عشرة ايام لن ارى فيها سحنتك. وسيفصل البحر بيننا بأميال وارجو ان يكون هذا الانفصال نهائياً».

«لا تفكر انني لا اتمنى الشيء نفسه».

تركته وهي تمشي بساقين مرتجفتين ويدها على موضع الألم في جنبها. جلست على حافة السرير في غرفتها وهلعت لما تبين لها من عظم الهوة بينها وبين هراكليون. كيف حصل ذلك؟ في اقل من لحظة حصل هذا الزلزال بينهما. فهدم فرصة كادت تكون فيها معه على سفينته الجميلة، وكل هذا بسبب تردد دام ثانية واحدة بين ان تقبل عرضه او ان ترفضه. لامت نفسها واخذت تندب حظها وهي تتمايل بجسمها يمنة ويسرة وتتأوه بصوت مسموع دون ان تدري. تألمت كما لو انه حملها وقذف بها من الشرفة.

يجب ان ترحل. هذا ما عزمت عليه فجأة ويجب ان تنفذه. قال انه سيتغيب مدة عشرة ايام وهذا يكفيها لترتيب امر رحيلها من جزيرة بتالودس. ستبحر الى اثينا ومن هناك تطير الى انكلترا حيث لها في احد مصارفها ما يكفيها الحين ولادة الطفل. وعندئذ ستبحث عن عمل لتعيل

مولودها وستواجه الموقف بكل شجاعة. هكذا سيكون في حوزتها شيء الثمن بكثير من اسوارة ذهبية.

ضغطت بيدها على جنبها فخرجت انة من فمها. وشكرت الله على ان احداً لا يعلم انها تحمل طفل هراكليون الا كاساندرا. وقد لا تبوح بهذا الى اي كان لانها ليست من العائلة. وليس اكيداً ان كاساندرا موقنة من حبلها. ولأن في اجنبية لن يفطن احد الى غيابها او يستفقدها.

يجب ان تخرج من حياة آل مفراكيس وتستقر في مكان ما من انكلترا... مجهولة لا يعرف عنها احد.

والآن يجب ان تذهب الى الكنيسة على التل. ولدى عودتها يكون هراكليون قد ركب سفينته وابحر وهو موقن بأن زوجته مرتزقة تافهة. ولكن ما العمل اذا كانت الظروف تعاكسها؟ الشيء الوحيد الذي كانت تبحث عنه هو حبه. ولكنها وجدته في صدر مغلق كصندوق من فولاذ.

اما خدعتها الكبرى فستكون رحيلها عن القصر حاملة معها الطفل الذي لن يراه ابداً. هذه هي النهاية المحتومة. لأنها لم تعد تتحمل حياة تتأرجح بين العاطفة والعذاب محرومة من اي حنو... من اية بادرة قد تخفف من حدة الاهانات التي يكيلها لها رجل قوي وعاصف.

للمرة الأولى منذ زواجها يعتدي عليها زوجها، وعندما دخلت لتستحم رأت رضة في جنبها. وخطر لها انه لم يقدر قوة عنفه الحقيقية عندما دفعها بيده في لحظة غضب. ومن المؤكد انه يكرهها كثيراً، ولتكفر عن ذنبها في اقتحامها لحياته عليها ان تتوارى وتخرج من عالمه الى الأبد.

بعد ان تناولت افطارها ارتدت ثوباً ابيض بسيطاً مع اسوارتها الذهبية، ثم نزلت الدرج حاملة في جزدانها علبة المجوهرات التي تحتوي على عقد اللؤلؤ. كان ذهابها الى الكنيسة بقصد الصلاة وتقديم نذر عذراً قوياً لتغطية خروجها من القصر بضع ساعات. وعندما تعود يكون هراكليون قد رحل. وبدل العناق سيكون وداعه لها ضربة قوية من يده.....

لم تصادف احداً في طريقها الى المرآب. اخذت السيارة الحمراء ذات المقعدين ثم اخذت الطريق الصاعدة نحو الكنيسة. وشعرت بحرارة الشمس القوية فأسفت لأنها لم تفكر في وضع قبعة على رأسها، ولكن هذا الأمر لم يشغل بالها بقدر ما شغله مشهد الكابوس بينها وبين زوجها على

الشرفة عندما ضربها واحست كأنها طعنة سكين تخترق شعورها وليس جسمها وحسب.

لم تكن في تملك سيارة في انكلترا. ولكن شركة العقارات حيث تعمل كانت تطلب من موظفيها اجادة السياقة ليرافقوا الزبائن في جولاتهم بقصد الاطلاع على الابنية والعقارات. هكذا تمرست على القيادة. لذلك لم تشعر بأي خوف وهي تسوق في طرقات القرية المتعرجة ذات المنعطفات الخفية. وكثيراً ما تأتي على منعطف يظهر لها منه البحر، وفي احد المنعطفات بانت كريتيا سفينته بكل ابهتها تتمايل على الماء بدلال وتتألق في اشعة الشمس كأنها لوحة رسام ماهر.

توقفت عند المنعطف وكان يخيل للرائي من بعيد ان السيارة معلقة على حافة المنحدر توشك على السقوط. ارادت التمتع بهذا المشهد الرائع الى ان زاغ نظرها. ووخزها الألم في جنبها من جديد والأسى يغرقها في الداخل. كل ذلك لم يكن ليحصل لو انها تمالكت اعصابها في تلك اللحظة الحاسمة التي قطعت الخيط الواهي الذي كان يربط بينهما. ام هل هو القدر الذي قرر ان يحدث ذلك... لتتوارى الابتسامة من عينيه وتتحول حجراً اوجمرة قذفها بركان اعماه دخانه؟

ضغطت بيديها على مقود السيارة واغمضت عينيها وقالت:

«اذهب بحراسة الله يا اسدي. لن تستطيع حتى ان تتصور مقدار حبي لك».

تابعت مسيرتها مارة ببساتين التين ومزارع الزيتون وبرعاة يسوقون ماعزهم وغنمهم فوق صخور تنحدر حتى البحر. وسيارتها المكشوفة لم تقها من سرعة الهواء الا انها انتعشت به. ورأت الفراشات تتطاير بكثرة وسط اصوات الصرصر. وشيئاً فشيئاً اندمجت في طبيعة لم تعرفها من قبل.

اصبحت الآن في مدخل القرية. وتمهلت في القيادة اذ كان يسد الطريق قطيع من الماعز يرافقه راع شاب. كان يساعده في لم شمل الماعز كلب نسي قطيعه ليجري بجانب السيارة وينبح مزمجراً.

وصلت الكنيسة. وكانت صغيرة الحجم بيضاء تعلو جميع بيوت القرية التي تنحدر مع انحدار التل فيظلل البيت الأعلى سقف البيت الأدنى. ورأت العديد من النساء يغزلن الصوف امام ابواب بيوتهن بوجوه داكنة

غامضة النظرات وشرقية الملامح. واعجبت بالابنية ذات الاقواس البيضاوية المبنية من الحجر الأبيض. وباللبلاب الذي يغطي فتحات كبيرة في واجهات الابنية المشبكة بالحديد.

اوقفت السيارة امام الكنيسة ودارت بنظرها حولها. كان لها برج واحد للأجراس وبناؤها يبدو متقاعساً بلا حياة وسط اشجار السرو التي تتخللها نباتات مزهرة شائكة يسمونها «قلقل الراهب» يعتقدون انها تهدىء الانفعالات.

تخطت عتبة الكنيسة وقرأت عند المدخل كتابة بالفسيفساء على الأرض تقول «اهلا بالصديق والغريب سواء بسواء». تابعت سيرها واحست بانتعاش جسمي في برودة البناء حيث بعض النسوة المتشحات بالسواد يتأملن ويصلين قبل البدء باعمالهن اليومية. وكان نور الشمس يمر مخترقاً النوافذ ذات الزجاج الملون. وذهبت فني الى طاولة الشموع لتشعل شمعة وتضع عقد اللؤلؤ الذي يذكرها بأنها عروس هراكليون الزائفة، لا الفتاة التي اختارها زوجة له. ركعت واغمضت عينيها برأس منحن. وتضرعت الى الله كي يمدها بالارادة والقوة حتى تتغلب على ضعفها وتترك الرجل الذي احبته ومع ذلك لا تقوى على البقاء معه.

وعندما خرجت من الكنيسة مشت بين الاشجار والعيون تتطلع الى المرأة الوحيدة المتشحة بالبياض. رأت النسوة فيها امرأة غريبة ولربما كانت بينهن من عرفن من هي. وقارنت فني بين نساء وبنات انكلترا العصريات وهاته النسوة العميقات الجذور في تقاليد ماضيهن، كانت تأمل ذات يوم ان تصبح واحدة منهن تعيش كأهل الجزيرة وتغرز مثلهم جذور عائلة تؤسسها برئاسة هراكليون.

لن يحدث هذا... لأن زواجها قام على اساس من طين، ولذا يترتب عليها ان تترك جمال هذه الأرض الأسطورية. وما مشيتها الآن الا وداع لكل هذا، وداع شوارعها الضيقة، مخابزها وخبزها الشهي، حوانيت البقالة، عين الماء التركية المهملة لأن الماء يصل الآن الى كل بيت في القرية... بفضل هراكليون الذي قام بمد الأنابيب ودفع تكاليفها. هذه زيارتها الأولى والأخيرة للقرية.

تابعت سيرها على قدميها بمحاذاة جدران مبنية من الحصى البحرية.

وكانت تتمتع برؤية زوارق الصيد المزينة بأشكال ورموز بهيجة. وعند زاوية في الشارع رأت نفسها امام حانوت حلويات فجلست الى احدى الطاولات الموضوعة على الرصيف. وعلى الفور تقدم منها رجل ليلبي طلبها. كلمها بلغة انكليزية ممزوجة بالفرنسية والايطالية وغيرها. وتبين انه عمل في مطعم يوناني في لندن قريباً من برج الزجاج المعروف ببرج شركة الهاتف.

قال الخادم وهو يضع امامها شراب البرتقال المثلج:

«كنت اتشوق لأهلي. وعلاوة على ذلك لندن مدينة ازدحام وتعب. وبعد ان اقتصدت مبلغاً من المال رجعت الى بلدي واسست عملاً هنا. هل تحب سيدتي تذوق كعك بالبيض او كعك بالقشدة؟ امرأتي هي التي تصنعه وهي ماهرة... واليونان مولعون بالكعك اللذيذ».

سرت فني كثيراً بالحديث مع شخص لطيف ذي معشر فوافقت على تناول الكعك بالبيض وهو من الحلويات الانكليزية المعروفة. واستمرت في الحديث معه حوالى الساعة. وعندما نهضت لتذهب رجاها ان تبلغ السيد مفراكيس تمنياته الطيبة وان تؤكد له فرحة الجميع بسلامته.

طبعاً لم تكشف له عن انها لن ترى زوجها ثانية، ولكنها ابتسمت وقالت انها ستفعل ذلك. وانحنى صاحب المحل وقال:

«انه حلو على قلبنا ان تكون زوجة السيد امرأة جميلة. اتمنى ان ترافقك السعادة اينما كنت واينما حللت».

«افخاريستو، شكراً».

وما ان التفتت الى الطريق حتى تولاها الحزن ودمعت عيناها. وصعدت الى حيث سيارتها وبعد عشر دقائق كانت خارج القرية. ومرت بطاحون هواء فلفت انظارها بمراوحه التي تدور بكسل... وفي ساعة غفلة فوجئت بكلب يقفز من بين الشجيرات على جانب الطريق. واخذ يعوي بكل قواه امام السيارة. تمسكت فني بالمقود وضغطت برجلها بكل ما اوتيت من قوة على الفرامل لتتفادى الحيوان... حادت السيارة عن طريقها واتجهت نحو مرتفع وهناك ارتطمت بالحاجز الحجري. وعادت الى الطريق ثانية وهي تترجرج. واحست فني باحتكاك معدني تحت رجلها. كانت الآن على رأس طريق منحدرة تستمر في انحدارها حتى المنعطف الذي يصلها بالطريق

العام.

لم تجد فنّي اية وسيلة لايقاف السيارة او ابطائها. لم تعرف ما تفعل. فالفرامل لم تعد تستجيب وكل ما بوسعها عمله هو التمسك بالمقود وتحويل السيارة لتخرج من المنعطف. ولكن زاوية التحويل كانت قوية وسريعة بحيث ان السيارة انطلقت باتجاه الصخور فاصطدمت بها صدمة قوية دفعت بفنّي الى الأمام بشكل عنيف ومفاجيء. وكان من جراء هذا ان ضرب دولاب المقود جسمها ضربة قوية كأنها ضربة مطرقة. زاغ بصرها وصارت ترى الشيء شيئين. واحست برأسها يدور وبألم صاعق في داخلها. بقيت واعية حوالى نصف دقيقة ومن ثم فقدت وعيها واحتواها ظلام دامس.

تناثرت شظايا الزجاج هنا وهناك. واخذ البنزين يتسرب من السيارة وزمورها يملأ التلال المجاورة بزعيقه. اقترب الكلب من البنزين وبدأ يتنشقه. وكان صبي ينزل من الطريق الجبلية مهرولاً وفي عينيه حذر وخوف.

القى الصبي نظرة داخل السيارة فرأى فنّي مسمرة الى المقود. وشم رائحة البنزين. حاول ان يفتح الباب عدة مرات. واخيراً كانت محاولته من القوة بحيث فتح الباب فجأة وارتمى الصبي على الأرض. لم تكن قوته كافية لاخراج فنّي من السيارة. ولكنه لم يكلّ وبعد عناء كبير جرها بعيداً عن السيارة التي كانت ساخنة كالنار. ولم تلبث ان انفجرت بعد دقائق والتهمت نارها البنزين المندلق في كل مكان.

ظلت فنّي ممددة بثوبها الممزق المتسخ لا تعي شيئاً. بينما كانت السيارة تشتعل والصبي يتطلع حوله آملاً ان تنبه نارها الناس فيأتوا للنجدة.

٧- الصفقة

فتحت فنّي عينيها فرأت الاشياء مغبّشة. ولم تتأكد من الوجه المنحني فوقها الا انها رأت عرقاً يتحرك في رقبته وشيئاً لامعاً يتدلى منها. عبست لأنها لم تستطع تمييز الاشياء. ولكنها ثبّتت نظرها اخيراً واتضح لها الآن ان الوجه المنحني فوقها نحيل نوعاً ما. وبدأ الضباب ينقشع من عينيها ولكن الألم الداخلي ظل يذكّرها بشيء لم تكن تميزه بعد.

ابتسم زونار واخذ كلتا يديها ورفعهما الى شفتيه قائلاً:

«تحياتي! هل تعرفينني؟ هل تميزين الاشياء الآن؟».

اومأت برأسها وظنت لاول وهلة ان المتكلم شخص آخر. وانها تلفظت باسم ذلك الشخص. وتكلم زونار بصوت حنون وهو ما زال يحمل يديها:

«يسعدنا ان نراك بين ظهرانينا. هل انت مسرورة بعودتك يا فنيلا؟».

«اشعر... كأني آتية من بعيد... بعيد».
دارت بعينيها في الغرفة فعادت اليها صور الاشياء المألوفة، مثل القنديل المدلى امام ايقونة في الكوة. وسألت:
«ماذا جرى يا زونار؟».
ميزت وجهه وملامحه الجميلة رغم بعض التجاعيد الخفيفة.
«كان المنحدر قوياً عند المنعطف عندما برز كلب امام سيارتك فجأة وانت تقودينها، وقد انقذك صبي من السيارة تماماً قبيل انفجارها. انه بطل صغير هذا الصبي».
«انا شاكرة له صنيعه».
تذكرت تلك اللحظة عندما فقدت السيطرة على السيارة واصطدمت بالصخور. ارتعش جسمها واحس زونار بذلك فضغط على يديها.
«لا تفكري في ذلك. كل شيء انتهى وانت بيننا الآن معافاة وفي تحسن مستمر».
لم تبعد نظرها عن عينيه لتتبين ما عناه بعبارة «تحسّن». قالت:
«التحسن ممّ؟ منذ متى انا في... انا... مريضة؟».
«منذ عدة أيام. كنت نائمة معظم الوقت واخذت تعودين الى رشدك تدريجياً. وكانت الممرضة تغذيك بحساء الدجاج فقط».
«منذ عدة أيام...! لا اتذكرها مطلقاً. ربما فقدت الذاكرة. هل اصيب رأسي بضربة؟».
«اجل، عند الاصطدام. فهناك جرح في رأسك ولكنه لن يترك ندبة».
«ندوب. انظر، هذه ندوب».
«كلا، قال وهو ينحني فوقها ثم تابع: لم يصب وجهك شيء يا عزيزتي».
يقول «يا عزيزتي». اعادت اليها هذه العبارة ذكريات وذكريات، منها الحلوة ومنها المرة، ومنها مرآى يدين اقوى واخشن.

«اني غير مهتمة بوجهي».
برزت الحقيقة الآن بكل بشاعتها وهولها. وارادت ان تصرخ ولكنها قالت وهي تضبط اعصابها بصعوبة كبيرة:

«فقدت طفلي، اليس كذلك؟».
انتفض الشريان في رقبته وقال وهو يبلع ريقه:
«آسف يا فنيلا. هذه هي الحقيقة. يجب قولها لك. وانتدبني الطبيب لانوب عن هراكليون في اطلاعك عليها».
«فهمت. هل هو غاضب عليّ ولا يتصل بي؟».
كان فقدان الطفل اصعب عليها من فقدان حياتها. لم تبك لأن مآقيها جفّت وحياتها جفت وفرغت من معناها.
«لا يا حبيبتي. لا نستطيع تعيين مكان وجوده. رحل على ظهر كريتيا ونحاول منذ ايام الاتصال به. ذهبنا الى كل المحلات التي يرتادها...».
«هل حاولتم الاتصال بصديقاته القديمات؟ هل فكرتم في الاتصال بنيويورك حيث ابنة عمي؟».
صعق زونار لهذه الصراحة وقال بعينين لا تصدقان:
«وانت تعتقدين انه... كلا. هراكليون لن يفعل ذلك».
«هراكليون يحبها، وتشاجرت معه يوم رحل وكان الفراق مؤلماً. ووضعي الآن يضيف مادة اخرى الى شكواه مني. انا زوجة لم يرغب فيها مطلقاً وها قد قتلت طفله. هذا يكفي ليكرهني...».
«آه يا فنيلا. ماذا يمكنني ان افعل كي أعزّيك؟».
شد زونار على يديها تعبيراً عن مشاركته حزنها. وبالفعل رأت في وجهه نظرة الرجل القوي الذي هزمه الألم وجعله عاجزاً عن التفكير. وتابع يقول:
«كاساندرا وحدها كانت تعرف انك كنت حاملاً. وهي التي اهتمت بأمرك ريثما يأتي الطبيب. لكننا سمعناها تتمتم كلاماً بمعنى ان هناك فرصة واحدة لا غير... هل عنت ان هذه الفرصة قد تنقذ زواجك؟».
تذكرت في ما تنبأت به كاساندرا وهو انها ستنجب طفلاً واحداً فقط. وخسرت الطفل...
«هل يعلم هراكليون بالطفل؟ ام انك لم تخبريه؟».
نفت ذلك بأن هزت رأسها. كان شعرها كله جديلة واحدة للتخفيف من الحرارة، والاسوداد تحت عظام وجنتيها تكاثف وبانت ذراعاها هزيلتين. اما وجهها فحافظ على نضارته ولكن الألم ترك لآثاره في نظرتها.

لم يبق لها شيء تتمسك به منذ الآن تهيم على وجهها. . . تحطمت حياتها الزوجية واصبح كل شيء مستحيلاً.

فقط لو. . . لو ان هذا التشبث بلهفتها الى هراكليون تلاشى مع الطفل. هذا الشوق ينخر في عظامها ويصرخ الى هراكليون. . . وهو الذي سيأخذه معها من بتالودس.

«لو اطلعته على امرك لما رحل على ما اظن ولتولاه فرح عظيم».

«حقاً؟! انه يبقيني عنده ريثما اهديه طفلاً. هذه هي الصفقة التي ابرمها معي. ابقى زوجة له لحين اصبح اماً لابنه ومن ثم يتركني. ولذا لم ارد ان يعرف اني قد الد له طفلاً حسب تركيبته الحسابية الدقيقة التي كانت تسيّر عواطفه. اردت ان يكون لي سرٌّ ثمين لا يشاركني فيه احد، ونويت ان اهرب به! هل يثير هذا اشمئزازك يا سلفي؟ وكان توقيت فراري مع رحيل هراكليون على متن سفينته. في انكلترا كنت سأعيش منزوية بحيث يستحيل عليه العثور عليّ وانا في احدى القرى النائية غربي البلاد. لسوء حظي تدخّل القدر مرة اخرى في مخططي. وهاجمني في شكل كلب بجرس الماعز للرعاة. . . انها شخصية بان، رمز الرعي الذي نصفه انسان ونصفه ماعز. لم اعتقد ابداً في الاساطير والخرافات، ولكن هنا يرى المرء نفسه مدفوعاً الى الاعتقاد بها. هل تؤمن بها يا زونار، أم انك رجل دنيويات لا تهمه امور كهذه؟».

«انا يوناني قبل كل شيء، وأؤمن بان الاله يأتمننا على مواهب او مزايا يتوجب علينا دفع ثمنها».

«انا سرقت مزية فعوقبت عليها عقاباً صارماً. . . اصبحت الآن خالية خاوية، وأتألم كثيراً اذا بكيت».

رفع يديها ووضعها على وجنته بحنان وقال:

«البلداء لا يبدعون قصة او تمثيلية، لكنهم يحبون ويتألمون بفتور. ولكنك. . . فتاة معطاء، عاطفية، رقيقة وجميلة، ولذا فانت تضعين روحك وقلبك في كل ما يحدث لك. ادخلت هراكليون الى قلبك. . . ويمكنك طرده منه الآن!».

شعرت في اطراف اصابعها بشرايينه الخافقة في وجنته ورأت في عينيه تلهّفه عليها. انه لمن السهل عليها ان تتحول من برودة واستبداد ذاك الى

عطف وحب هذا. انزل زونار يديها من وجنته ووضعها على عنقه فأحست بدفئه وبنبضات قلبه.

«سنرحل معاً. ماعليك الا ان تقولي كلمة واحدة فقط».

«لا!».

خرجت هذه الكلمة من قلبها برنّة قوية.

«لا. . . لا اريد ان اسرق شقيقاً واضيف سرقة على سرقة فأزيد من جرائمي يا زونار. ارفض ان اكون سبباً في حقد وكراهية بين اخوين هراكليون ربّاك. . . انت ودمتري. اعتنى بكما. حرم نفسه من الغذاء من اجلكما. عمل في المحاجر وعلى السفن لتأمين المأكل والملبس لكليكما، ارجوك، اترك يدي، وكف عن التفكير في هذه الاشياء. . .».

«تقوّي الآن يا فنيلا، وسنتكلم عن ذلك بعد ان تخف احزانك وتعودي الى نفسك. لنا حياة يجب ان نعيشها، وانا اريدك لشخصك. انت! يا حلوة، يا ناعمة!».

فتح يديها وقبّل راحة اليد التي رأت كاساندرا فيها المستقبل. تنهدت فني يأساً لعجزها عن اقناع زونار، وتنفست الصعداء عندما دخلت الممرضة بلباسها الرسمي وعاملت زونار بصرامة مهنيّة قائلة:

«السيدة ما زالت تعبة جداً. ستتحسن كثيراً غداً صباحاً».

«اذن استودعك الله».

ابتسم في وجه فنّي وعند الباب انحنى للممرضة ونظر اليها هازئاً. وبعد خروجه رتبت الممرضة وسائد السرير وناولت المريضة قدحاً من عصير الليمون.

«انه سلف لطيف. لقد قلق عليك، ودمعت عيناه عندما قيل له انك اجهضت. اليونانيون يتأثرون باشياء كهذه».

بدا وجه فني عبوساً تحت وطأة التفكير. وسألت الممرضة:

«هل هناك أمل في ان احمل ثانية؟».

«اسألي طبيبك يا سيدتي».

والتفتت الى الناحية الاخرى لتتهرب من الاجابة الصريحة. واخذت ترتب الاشياء على السرير.

«هلاّ قلت لي؟ انت قابلة وتعرفين، وأعدك اني لن ابكي».

«لماذا؟ ألست من نساء اليوم العصريات اللواتي لا يهتممن بتأسيس عائلة؟».

«على العكس، لكني لا أحب ان ابقى على جهل بأمور مهمة كهذه».

مدت يدها وامسكت بكمّ الممرضة المنشّى وقالت مستعطفة:

«انت تعرفين، اليس كذلك؟».

«من الصعب التأكد من هذه الاشياء. في بضع سنوات...».

«في بضع سنوات؟ اخشى أن لا اتمكن من الانتظار كل هذا الوقت».

«بالطبع، لانك مازلت شابة. دعيني اقل لك هذا. لو اكملت مدة الحمل لكنت مررت بفترة كلها تعقيدات ولكانت الولادة كلفتك الكثير».

«حياتي...! اهذا ما عنيت؟».

لطمتها هذه الحقيقة في الصميم. معنى هذا انها لو هربت بجنينها ووضعت لماتت هي... وانتهى الطفل في دار للأيتام.

«لا احب ان اقول هذا، ولكننا نعرف هذه الأمور رغم ان الاطباء يأنفون من الاعتقاد بأننا نملك المعرفة. نعم. لكنت قد متّ».

«هل استطعتم معرفة جنس المولود ذكراً ام انثى؟».

«كان ذكراً يا سيدتي».

اغمضت فيّ عينيها... يكون هراكليون قد حصل على ولد على صورته ومثاله وفيه الشيء القليل من أمه. هذا الولد الذي لن يكون قد عرفه ابوه لو انه ولد. والوالد الذي لن يقع حتى نظره عليه لأنه اجهض.

سيطلع على آخر ما جرى لدى عودته. عندما تنتهي رحلته البحرية التي ابتدأها دون ان يترك كلمة واحدة لشقيقيه ليتصلا به في حالة الطوارىء. حتى اعماله التي يضعها فوق كل شيء لم تستأثر باهتمامه فترك الجزيرة فجأة ليهرب من الجميع.

ولكن لماذا من الجميع؟ طلبت فيّ من زونار ولو ساخرة ان يتصل بالمسرح في نيويورك حيث تعمل بيتلا، وليس مستغرباً ان يكون هراكليون هناك. اذا كان يريد بيتلا بكل جوارحه فلن يسمح لزوجة لا يريدها ان تقف في طريقه خاصة ان ابنة عمها تفضّل معاشرة الرجل المتزوج على الأعزب.

«لا يجب ان يستولي عليك الحزن والا فلن تتحسني».

وضعت الممرضة يدها على جبين فيّ وقالت:

«عندما يعود زوجك يجب ان يراك معافاة لا صفراء وهزيلة. علينا ان تواجه النوائب بشجاعة. كفاه انك تنتظرينه».

ضحكت فيّ ضحكة جوفاء كقلبها وقالت:

«انا انتظره؟ لن يغفر لي ما حدث، وسيلومني على كل شيء».

«من الطبيعي ان يخيب أمله يا سيدتي. ولكنه سيفهم انك لم تقصدي الحادث. لا نلام على ما كُتب ان يحدث لنا. ولكل ملذة سعرها ولكل ألم علاجه».

«ليتني استطيع ان أؤمن بما تقولين. هناك فراغ في قلبي، وألمي اكبر من ان يشفيه علاج... أكاد الحق بطفلي».

«حاولي ابعاد الكآبة عنك يا سيدتي. لو كتب لك ان تقضي مع الطفل لقضيت».

«انت تؤمنين بالقدر. [illegible] القدر عليّ وانتزع مني الطفل الاوحد الذي كان يجب ان الده. وبخلاف ذلك ربما قرر ان يخطف حياتي ليبقي على الصبي. كان هذا الطفل ثمرة حب... حب للرجل الذي اعطانيه».

ادارت فيّ وجهها ودفنته في الوسادة. كان حلقها يؤلمها وتجمدت دموعها في مآقيها فلم تبك على الحب الذي فقدته عندما فقدت طفلها.

«نامي الآن وستريك الامور وجهاً اكثر بهجة غداً. وبعد ان تستعيدي قوتك ونشاطك ستتساءلين لماذا رغبت في الموت. تصبحين على خير يا سيدتي».

«طابت ليلتك.. اشكر لك لطفك».

اطفأت الممرضة المصباح الموجود قرب السرير. وخرجت تاركة مصباح الجدار بنوره الخافت يضيء وحده. وبقيت فيّ وحيدة مع تكتكة الساعة ومرارة الذكرى التي اصبحت في خبر كان... عندما كانت لينة طيعة بين ذراعي هراكليون. وذكرى الفرحة وهي في فستان عرس غيرها ظناً منها انها فرحة دائمة. وجاء القدر لينتزعها منها في حادث سيارة. وكان هذا عقابها.

تنازعها النوم واليقظة في هذا السكون المخيم على القصر. وكان على صخور اساسه المتين راسخاً في سيطرته على الجزيرة وحتى على سكانها الضعفاء الذين رغم قوتهم الظاهرة ليسوا الا لبنات في جسمه.

هذا القصر لا يرحّب بالحب. فقد بغض زوجة زونار الشابة والآن ابن هراكليون الاوحد الذي جاء كالطعنة وكان ذكرى قصيرة عابرة... أما هي فيرفضها.

«آه يا هراكليون!».

اخذت الوسادة واخذت تعصرها بين ذراعيها. انها وحيدة في هذا القصر تنظر الى المستقبل بعيون ملؤها الخوف. ورنّ في اذنها صوت زونار وهو يقول لها: «تعالي معي. ساعتي بك!».

وانتظر الجميع حتى تحسنت صحة فني واصبحت قادرة على الجلوس في الغرفة الخارجية ليخبروها بأنهم وضعوا بلاطة تذكارية باسم طفلها في كنيسة القرية. وأبدت لهم رغبتها في زيارة الضريح:

«احب ان ارى البلاطة».

وذات يوم عندما رأى الطبيب انها تستطيع الخروج صعدت الى الكنيسة برفقة زونار وأدلينا في السيارة. ومشت معهما بين اشجار السرو حتى وصلت الى حيث اللوحة النحاسية. كانت فيها بضع كلمات والاسم هراكليون مفراكيس الاصغر منحوتة باليونانية.

ولكنها ما زالت بلا دموع لا تستطيع البكاء. وضعت بعض الازهار على القبر الصغير وانحنت حتى لمست اللوحة باصابعها وسألت عن معنى الكلمات. فسرّها لها زونار: «قطف زهرة الحياة». وانحنى ليرفعها على قدميها.

«ولكن كيف قطف زهرة الحياة ولم تسنح له اية فرصة في الحياة؟ كان جنيناً وضربه مقود السيارة وهو جنين. كم اود ان اصرخ من اجله واشدّ شعري وأنزل اللعنة على جزيرتكم».

قالت ادلينا:

«انظري يا عزيزتي الى الجانب الآخر من الأمور. كدت تقضين معه. مدّي يدك والمسي جسمك. انت بعد على قيد الحياة تتمتعين بالشمس وحرارتها. تأملي في نفسك... جميلة وجذابة في هذا الطقم الرمادي. من حسن حظنا انه لم يعاقبك. أليست فاتنة يا زونار؟».

ورمقت زونار بنظرة خاصة فيما كان يتأمل شعر فني كان يفضّل لو يجيب بما يروق لعاطفته ولكنه كبت هذه الرغبة وأجاب:

«نعم. افهم شعورك يا فيلا، ولكن صدّقيني ان الالم والغضب يتلاشيان مع الزمن ويبتلعهما النسيان. وعندها تصبح الحياة اثمن شيء لدى الانسان».

تأبطت ادلينا ذراع فنّي وقالت معلقة على كلام زونار:

«هذا صحيح. تعلّمي طرق التسلية والاستمتاع بتوافه الامور. سيأخذنا زونار بعد يوم او يومين الى اثينا وسنحاول ان ننسيك احزانك. يا مدللتي... لا ترفضي. بما ان هراكليون يقوم بلعبة السيد المتغيب فلا يلزم استئذانه. كان يتوجب عليه ان يعلمنا بتحركاته وبدلاً من ذلك توارى كالأسد الذي انغرزت شوكة في جنبه. آه من الرجال. انهم السبب في جميع آلامنا».

«يا امرأة اخي العزيزة، متى تعذبت؟ زوجك دمتري كله صبر وهو من غير طينة هراكليون وطينتي. عدّدي نعمك لا تذمّراتك».

«اردت يا زونار ان اتزوج من رجل ليّن العريكة وبسيط القلب. كان رأي والدي ان اتزوج من هراكليون، ومع عقلية اخيك الحازمة وخفة روحه ونشاطه أعلمت والدي اني افضّل دخول عرين الأسد على دخول البيت الزوجي مع هراكليون مفراكيس. ثمة أمر لا ينكر. تعلّمت فنيلا المسكينة درساً قاسياً».

ابتسمت فني ابتسامة عدم اكتراث لأنها تعلمت كيف تخفي آلامها بحيث يكسبها ذلك مناعة. ابتعدوا عن ضريح الطفل وشعرت كأنها تركت جزءاً من قلبها في التربة. اخذ زونار ذراع فني وضغط باصابعه على يدها. انه يفهمها لانه تزوج عن حب مثلها.

وساروا بين اشجار الكنيسة مارّين بالقبور. رأوا كتابات وصوراً منحوتة في شواهد القبور الحجرية. وشعرت فني بأنها تذرف دموعاً من حجر.

وفي طريق عودتهم رأوا طيور السماني ترفرف باجنحتها بين شجيرات التل. واستنشقوا رائحة الزعتر والصنوبر التي حملها اليهم الهواء. وتوقفوا حيث جرى الاصطدام فشاهدوا آثار الحريق.

«آمل ان تكونوا كافأتم الصبي الشجاع الذي انقذني».

اجابت ادلينا:

«كلبه هو الذي تسبّب في الحادث. الصبي نفسه اقرّ بذلك امام الرجال

الذين اتوا بك الى البيت في عربة احد المزارعين. على فكرة يا زونار، ما تزال جزيرتنا بدائية، ليس فيها مستشفى واحد على الأقل».

«فكر هراكليون في هذا الامر، واعتقد أنه سينفّذ هذا المشروع حالما يعلم بحادث فنيلا».

«وماذا عملتم بشأن الصبي؟ انا مدينة له، ولم يكن اقل تعرّضاً مني للخطر».

التفت زونار اليها وقال:

«تحادثت مع والده واعلمته ان هراكليون لا بد ان يكافئه اما بمبلغ من المال او بقطيع من الماعز. الماعز بالنسبة اليهم اثمن بكثير من مال مودع في المصرف. وهراكليون يأنف من تغيير مجرى حياتهم ولا يريد افسادها بادخال تغييرات على نمط حياة الجزيرة. لا يريد لها ان تكون عصرية كما حدث لجزر أخرى، حيث تتوافد عليها افواج من السياح وتشيّد فنادق غرفها كعلب السردين تنتشر على الشواطىء. انها تفسد جمال الجزيرة وتقلب حياة الناس وتقاليدهم رأساً على عقب. اما المستشفى فهو ضرورة ملحّة. وقد تكلم عنه هراكليون الذي يهتم برفاهية اهل الجزيرة، أصدقت يا أدلينا ام لم تصدّقي».

«ما اصدقه هو انه يهتم بصورته هو فقط. واستميحك عذراً يا زونار اذا قلت ان أخاك ملك الغاب هنا، وانه قاسي القلب».

«لم يعش حياة لينة ليكون حنون القلب. السنين الاولى من حياتنا تسعفنا بطابعها عادة. وأثر الحرمان والكفاح من اجل اللقمة يقسّي العضلات والاحساس. وأقر انه يجب ان نفهمه».

«التفهم تعبير ضعيف. اني اكره ان يتركني زوجي ويذهب بسفينته دون كلمة. مع ان هذا ليس من عاداته. ولا يفكر في معظم الاحيان الا في أعماله. فماذا جرى له هذه المرة؟».

تدخلت فني وقالت بهدوء:

«اظن انه اراد ان يهرب مني. وقع خلاف بيننا قبل رحيله، ولكني لا اتلهف لرجوعه».

اغتنمت ادلينا الفرصة لتؤكد رغبتها في الذهاب الى اثينا فقالت:

«اذن سنقوم برحلة الى اثينا ونتغيب بضعة ايام. هل ستأخذنا يا

زونار؟».

«بكل سرور. وستفيد هذه الرحلة صحة فنيلا التي ستجد اثينا مثيرة بمناظرها وحوانيتها وموسيقاها. فاتركا لي الترتيبات وسأؤمن لكما كل متعة».

«لي شيء اقوله لك يا زونار».

ربّتت ادلينا بطرف اصابعها على وجنة زونار وتابعت تقول:

«انت لست جميل الطلعة فحسب بل وانساناً كبيراً ايضاً. كان يجب ان تتزوجك فنيلا».

«كنت اتوقع ان تكون هي وصيفة الشرف في عقد قران أخي. ورتبت خططي على هذا الاساس».

توقفت السيارة في باحة القصر والتفت زونار الى فنيلا فقال:

«لي مخططات اخرى، ام انك ستفاجئينني؟».

«لا . . . لا اريد ان اتورط مرة اخرى في تعقيدات الحب. لا يقوى قلبي على احتواء ذلك واريد ان اتعلم كيف اكون اقل جدية مع الحياة. واريد ان تعلماني كيف اكفّ عن الاحلام وان اتصرف انا بقلبي بدل ان يتصرف هو بي، ولذا ارجو منكما ان تباشرا بالدرس ابتداء من هذا اليوم. وآمل الا تتكلم الا ما يجلب لنا الترفيه».

ضحكت ادلينا موافقة وقالت:

«ها قد اصبحت تلميذة تتبعين طرقي، وستنجحين في دروسك بدرجة امتياز. الحياة حلوة اذا اخذناها على علاتها».

لم تجهل فني ان زونار كان يدرسها عن كثب ولكنها لم تبادله النظر. يجب ان تتعلم المناعة ضد عذاب الحب. وهي غير مستعدة الآن لأن تسمح لهذا الساحر الرشيق ان يرمّم حياتها المحطمة.

وحالما دخلوا طلبت ادلينا ان يحضروا الشاي على السطيحة المطلة على بساتين الليمون. . . حيث كان بعض العمال يعملون وهم ينشدون الأناشيد اليونانية ذات الأنغام الرتيبة الحزينة التي يلفها الغموض.

اسندت فني ظهرها الى ظهر كرسي واستسلمت لتلك اللحظة بشمسها الساطعة وبوجود زونار الذي كان يبرهن لها عن شيء لم يفعله هراكليون مطلقاً. . . عن ايمان راسخ بأنها معطاء متفانية.

ولكنها لن تكون من الآن فصاعداً متفانية او غنيمة للعذاب. ستبحث عن المتعة الحسية في الاشياء الحسنة... وستبدأ بالأخذ بدل العطاء تماماً مثل بيتلا وادلينا.

وجدوا الشاي لذيذاً بعطره السائغ وتلذذوا بأكل رقائق الحلوى بالعسل وشرائح الخبز بالمربى. تحدثوا وثرثروا دون ان يتبعوا موضوعاً معيناً. وبقوا هكذا اكثر من ساعة حتى اخذت الشمس في الغروب بأبهة عظيمة. وشبهوا لونها بلون كرة عظيمة من الجمر الوهاج تتبعها ظلال الاشياء والاشجار والتلال واصوات طيور البحر قبل ان تأوي الى اعشاشها فتسكن مع سكون الليل.

نهضت ادلينا لتذهب الى زوجها واخرج زونار سيكاراً واشعله. وأخذ ينفخ دخانه في الهواء قبل ان يقول:

«حقاً انه غروب مجيد. رأيت عينيك تتوهجان وانت تتأملين فيه».

«لا اكلّ من اعجابي بالعظمة الاغريقية. ارى في كل شيء اثر الاغريق القدماء».

«الافراح والأتراح. الضحك والدموع. هل ستبقين في اليونان؟».

دلّ سؤاله المفاجيء على انه حزر نيتها بالرحيل من اليونان بعد زيارة اثينا، وعرف ان كل شيء انتهى بينها وبين أخيه ولا أمل في اي نوع من المصالحة.

«يجب ان ارحل. انك تعي ذلك وتقدره».

«صحيح. زواج بلا حب يعني العدم. وبالرغم من الطريقة التي تتكلم بها ادلينا، هناك شيء راسخ بينها وبين زوجها، يلائم واحدهما الآخر».

«هذا اساس الحياة. الملاءمة المتبادلة».

ارتفع نسيم البحر وهبطت الحرارة وظهر في السماء هلال القمر كأنه شبح يجول بين النجوم.

لم تتضايق فني من رائحة سيكار زونار لأن نوعه اخف من النوع الذي يدخنه هراكليون. قال زونار بين نفثتين:

«أرى انك احببت اليونان وهناك جزر غير هذه. تخافين هراكليون، او العيش معه، او حتى الهرب منه؟ الى اي بعد ستهربين؟ الى ابعد حدود قلبك؟».

«لا استطيع البقاء مع رجل لا يريدني. لا نتطابق. الصراع دائم بيننا بدون ذرة من القناعة. وانا احسد ادلينا لانها وزوجها متطابقان كما قلت».

«دمتري وادلينا يسمّيان ذلك حاجة. كل واحد منا يحتاج الى شخص آخر بنسبة كبيرة او صغيرة. اود ان يكون لك الوقت الكافي لتشعري بحاجتك الي. لم تخلقي لتعيشي في وحدة، خصوصاً في المستقبل بعد ان عشت مع رجل وحملت ولده».

«سدّت الطريق امامي. لا استطيع ان احمل بعد الآن. تحولت الى امرأة ناقصة».

ابتسمت ابتسامة فيها دلائل المرارة والعذاب. وقال زونار:

«بل امرأة كاملة. وانت ما انت. لست مجرد جسم وجد ليلد ولداً. انا لي ولد. دعيني اتخذك أمّاً لابني اليكو...».

توقف عن الكلام اذ سمعا وقع أقدام تقترب. حيّتهما المربية وقالت:

«ارجو ان تعذرني يا سيّدي اذا ذكّرتك بأن هذا وقتك لتلاعب اليكو قبل ان احمّمه وأطعمه».

كانت المربية مهذبة في كلامها. لكن فنيّ تأكدت من انها سمعت ما قاله زونار عن ابنه. احست كأن احشاءها التوت في بطنها لأنها ما زالت زوجة هراكليون ولا تريد ان ترحل وتترك وراءها من يعتقد بأن زونار حطّم زواج اخيه.

نهض متكاسلاً وقال لفنيّ:

«تعالي معي. سيسرّ الصبي ان يلعب معنا بعضاً من الوقت، واريد ان يتعرف عليك عن قرب». كادت تتبعه لو لم تسمع حفيف ثوب المربية المنشّى وتلاحظ النظرة التي القتها عليها فقالت:

«اشعر بقليل من التعب. افضّل البقاء هنا بعض الوقت والتمتّع بوحدتي».

انحنى فوقها ولمس وجنتها باصبعه محاولاً ان يجعل المربية ترى ذلك ثم قال:

«كما تشائين. احلمي الآن بأثينا وبالوقت الممتع الذي سنمضيه هناك».

بقيت وحدها واخذت تفكر واجسة في انها وزونار ينحدران على طريق التقارب الخطر. فكلاهما مستوحش.. وكل منهما فقد عزيزاً كبيراً.

رفعت نظرها الى القمر وتأملت اشعته الفضية التي ملأت السطيحة. وسمعت في البستان حفيف اوراق العنب وأزيز الصرصر. وقارنت بين هدوء الليل وبين العاصفة التي تجيش في صدرها. جلب لها هذا التناقض كآبة واستسلاماً للواقع. أحبّت جمال الليل ولكنها لم تبتهج بسحره. وتحولت بعينيها الى البحر حيث كانت مصابيح زوارق الصيد تتراقص وتخيّلت كيف يتجمع السمك حول نورها كما يقولون فيقع في الشباك الممدودة... كما تتجمع الفراشات الصغيرة حول المصباح.

في كل هذا جمال ستحرم منه كما فيه قسوة ايضاً، واقسمت فنّي على عدم الانزلاق ثانية في لهب قلبها الذي جلب لها النشوة والمذلّة معاً.

نهضت وتوجهت الى مقصورتها في البرج. ولما دخلت الممر الكبير التقت بكاساندرا قابعة فيه. حيّتها المرأة بلطف ومن ثم تبعتها الى غرفة الجلوس. قالت كاساندرا:

«تحسّنت حال سيدتي، ولكني حزينة من اجلك، وسمعتك تنادين رجلك ولم يأت».

«لن اناديه بعد الآن يا كاساندرا، ونيّتي الا ابقى هنا».

تلهّت فنّي لحظة بقطعة زينة على الحائط والتقت عيناها بعيني كاساندرا في مرآة على الجدار... واردفت تقول:

«ليس امامي غير ذلك كما تعرفين جيداً، وقد رأيت ذلك في راحة يدي في ليلتي الاولى هنا. حينذاك كنت غريبة ولم أؤمن بأشياء كهذه، ولكني سوف لا ارتاب بعد الآن. تبيّن لي كم من الخطر ان نجابه القدر وجهاً لوجه».

«هل تريدين ان اقرأ طالعك مرة أخرى؟».

وضعت فنّي يديها خلف ظهرها كأنها تريد ان تحميها وقالت:

«اعرف مستقبلي ولا أتحمّل ان تدققي فيه. لندع الاشياء كما هي. اريد ان اتعلم كيف انسى».

«كما ترغب سيدتي».

ركزت كاساندرا عينيها على فنّي بنظرة غريبة وقالت:

«الخطر، الحب، الاخلاص، هذه نار في الروح. هي تصنعنا وهي تدمرنا، ويجب ان نملك الشجاعة لمواجهتها».

«اظن ان الشجاعة تنقصني، ولا استطيع ان أتحمل اكثر من ذلك».

«وسترحلين يا سيدتي؟».

«نعم، وقريباً جداً».

«مع شقيق السيد هراكليون؟».

«نعم».

«اذن، ليكن الله في عونك!».

استدارت كاساندرا وتركت الغرفة. ولكنها اغلقت الباب بشيء من العنف مما ازعج فنّي. هل يعتقد هؤلاء الناس انها من حجر فتستطيع ان تتحمل اكثر من ذلك؟ هي ليست يونانية ولم تنشأ مثلهم بحيث تعرف كيف تتحمّل المشاق. تعرف ان في الزواج دفئاً وحماية وسواعد قوية تحتمي بها. لكنها لم تر أياً من هذه في زواجها وبدونها لن تكون في وضع يخوّلها لتدخل باب المستقبل.

ارتمت على السجادة والقت برأسها على طرف الديوان. واخذت تغرز اصابعها في الوسائد حتى شعرت بالألم ينتشر في عظامها. كيف ستواجه زوجها؟ تودّ الرحيل قبل عودته ان امكن. كلّفها زواجها منه بدل ابنة عمها ثمناً باهظاً. ووجد فيها مادة لأعذب وأمرّ انتقام قطّع قلبها ومزّقه.

انتهت الترتيبات لرحلة اثينا. وحجز زونار غرفاً في فندق أكليس في قلب المدينة حيث يستطيعون ان يشاهدوا الاكروبول من نوافذ غرفهم.

ولكن فجأة طرأ تبدّل في مخطط الرحلة عندما تسلمت ادلينا خبراً بان والدها مريض ويريد ان يراها. وادلينا بنت وحيدة له فاغتمت كثيراً. وما كان منها الا ان حملت حقيبتها واخذت الزورق الذي ارسل لها خصيصاً وابتعدت عن اليابسة وهي تلوّح لزوجها الواقف على الشاطىء تبدو عليه الحيرة والضياع.

قال دمتري:

«مسكينة ادلينا. تحب والدها حباً عميقاً... وخسرت فرصة التمتع بالرحلة الى العاصمة حيث كانت تخطط بفرح جولات واسعة في مخازن الازياء هناك».

والتفت الى اخيه زونار وقال:

«يجب تأجيل الرحلة، الا توافقني؟ اصبحت فنّي بلا رفيقة ولذا عليك

انتظار عودة ادلينا».

لفظ اسم فني بلهجة جافة يستدل منها انها ليست مرغوبة بعد في نظره. وربما ايضاً لأن اخاه زونار رحب بها ترحيباً ودياً حاراً رأى فيه محاولاته للتقرب منها. قال زونار:

«كلا. لا حاجة بي لتأجيلها وتستطيع ادلينا ان تلحق بنا قبلها بعد».

والتفت الى فني قائلاً:

«تتلهفين لرؤية اثينا. اليس كذلك؟».

«اتلهف كثيراً جداً، الا اذا ارتأيت انه يجب انتظار عودة ادلينا».

«لا ارى موجباً للانتظار. تحتاجين الى رحلة استجمام لتستعيدي كامل صحتك بعد الحادث. اني ارثي لادلينا، ولكن والدها اهم من كل هذا».

علّق اخوه بصوت حاد قائلاً:

«اعتقد انه يتوجب تأجيلها. تعقّل يا زونار. فنيلا ليست زوجتك! انها تخص هراكليون!».

احتجت فني على ذلك ولكن بينها وبين نفسها: «كلا. لا اخصه. لم اكن له بمعنى الكلمة الصحيح، وكان دمتري على حق عندما قال عني اني دخيلة». التفتت الى دمتري وقالت:

«زونار على حق. انا بحاجة للابتعاد عن الجزيرة وعن كل ما يذكّرني بها. رغبتي في رؤية اثينا اكبر من اي شيء، وسأذهب بمفردي اذا رأيت ان ذهابي مع زونار ليس لائقاً».

رفع دمتري حاجبيه وتكلم بلهجة الرجل الذي لا يتغاضى عن التقاليد:

«هراكليون اسم محترم وليس من الأصول ان تتجول امرأته مع رجل آخر. الا يكفيك خلق المحن والمصاعب له؟».

«صحيح اني تسببت في محن لهراكليون يا دمتري، ولكني لن احمل حياة اكون فيها مرذولة قلباً وعقلاً. سأذهب الى اثينا في اي حال حتى لو كنت وحدي».

«لن ادعك تذهبين وحدك يا فنيلا. نحن راشدان وتباً للباقة. سنذهب غداً كما صممنا».

وحذرهما دمتري قائلاً:

«لن يحبذ هراكليون ذلك، وانت تعرف مزاجه يا زونار ودرجة غليانه عندما يثور. مكان الزوجة هنا ويتعين عليها انتظاره لتخبره عن تفاصيل الحادث».

اسودّ وجه زونار من الغيظ وقال:

«هل انت جاد يا شقيقي؟ هل كان هراكليون هنا عندما واجهت فنيلا وطفلها الموت؟ هل كان بجانبها ليواسيها ويخفف عنها آلامها؟ انا قمت بكل ذلك وانا سارافقها حيث النور والموسيقى، كما سأعيد لها نور الحياة، ولا يهمني ما تقوله انت اوما يفكر الغير. اتقبّل ان يثور هراكليون في وجهي لا ان يتأسد مع هذه الفتاة التي احبته. انظر الى حالها والى ضعفها يا دمتري. هزالها بهزال ادلينا وكل ما تطلبه هو الحماية... لا ان تلسعها ألسنتنا بكلام حاد كالسكين لأنها حافظت على سمعة زوجها الطيبة».

اخذ زونار نفساً طويلاً بعد هذه المحاضرة ثم اردف يقول:

«ليذهب هراكليون وسمعته الى الجحيم! واعتقد انه موجود الآن في احضان تلك الشقراء المغرورة والمتصنعة التي يفضلها على امرأة حقيقية!».

اقتربت فني من زونار وامسكت بذراعه التي شعرت بأنها كانت ترتجف وقالت:

«ارجوك، لا تتشاجر مع دمتري بسببي. انه قلق على ادلينا. انه لا يهتم بي. اهدأ. انت ولد طيب. لا تتلفظ بأشياء ستندم عليها فيما بعد. الكثير مما تقوله لا يمكن محوه، لذا لا تتكلم عن الجحيم وغيره بهذه السهولة. والجحيم مكان مرهوب ومكروه... فقد خبرته!».

ادار زونار عينيه السوداوين نحوها. وتراخت عضلات وجهه فابتسم ابتسامة خفيفة وقال:

«لماذا يجب علينا التفكير في الغير يا فنيلا؟».

«وذلك لأننا لسنا انانيين».

«ولكننا سنذهب الى اثينا... معاً؟».

«نعم. وما تنزله السماء ستتلقاه الأرض، وسأذهب علناً يا زونار، لا متخفّية».

قال دمتري محذراً:

«ستتسببان في متاعب جسيمة لكما وللغير. الا تفهمان؟».

«ولا افكر الا في غدي».

كان زونار واقفاً يتطلع الى البحر حيث الطحالب تغطي الصخور وتلوّنها باخضرارها. واضاف موجهاً كلامه الى دمتري:

«لن تفهم ذلك يا شقيقي لأن العاطفة لا تسكن قلبك. وانت تملك ما يلائم حياتك. اما انا وفنيلا فسنذهب بحثاً عن نجمنا. قد نجده متلألئاً في كبد السماء او نجده قد سقط في البحر وانطفأ. اننا نجهل كل ذلك الآن ولذلك سنفتش عن المعرفة».

اخذوا يسيرون نحو القصر. وتطلعت فنّي الى المبنى والى مختلف مستوياته من القرميد الأحمر... والى البرج حيث كانت أسيرة حب هراكليون وسجينة صفقة انتهى مفعولها الآن. واذا كتب لأحدهما ان يتأذى فلا مناص من الخضوع لذلك. تبدّل لون السماء وهم يدخلون القصر، واصبح بلون الذهب كلون الرمال على الشاطئ.

اخذا الهليكوبتر الى اثينا حيث نزلا في فندق اكليس واحتل كل منهما غرفة منفصلة عن الآخر وهما يبتسمان ابتسامة المتآمرين الذين هم على عتبة الاكتشاف. انهما الآن في عالم المجهول، لا يعرفان ما قد يحصل. الا انهما كانا كلّها تلهفاً واحتياجاً مثل طفلين افلتا من يد حارس شديد البأس.

امضيا الايام القليلة الاولى في التجوال في انحاء اثينا. واخذها زونار الى اماكن لا يعرفها غير اليوناني القح. ومن الامكنة التي يرتادها السياح اخذها زونار الى مقاه شعبية قديمة والى حوانيت صغيرة نحتت في الصخر تعلوها شرفات مزيّنة بالأزهار. وذهبا الى الحي التركي القديم حيث السوق، تماماً كما في الايام السالفة تعجّ بالنحاسين وصانعي السجاد والاحذية وناسجي الحرير. وهنا اختارا قطعة حرير وساوما بائعها... وهو تركي عجوز ذو شارب طويل لا يمل من عدّ حبّات سبحته.

وفي نهاية الامر تمّ الاتفاق على السعر واصبحت قطعة الحرير ملكاً لفني.

سألت زونار عما قاله البائع التركي عندما خرجا من الحانوت... وهو قبو مليء بالبضاعة ذات الالوان الزاهية، وكانت قد أمنت على القطعة في جزدانها لأن اليونانيين لا يحملون طروداً.

فالتفت اليها وقال وهو يبتسم:

«قال التركي ان الحرير يطابق شعرك. وانه سيكون احسن ثوب نوم ترتديه حورية. رأى الخواتم في يدك وظنني زوجك».

استغربت فنّي لأنها لم تفكر مطلقاً في ان تنزع الخواتم من يدها. لقد آن الاوان... ولكنها حتى لو ازاحت الخواتم جانباً فلن تستطيع ان تزيل من فكرها صورة هراكليون... على الرغم من انها افرغت قلبها منه.

وذهبا لزيارة آثار مدينة الاكروبول التاريخية عند غروب الشمس. هذه المدينة القائمة على اعلى تل في اثينا. وهناك وقفا.

كان زونار واقفاً بجانبها كتمثال من البرونز. ولاحظت فنّي كيف كانت السائحات ينظرن اليه وفي عيونهن شوق لأن يكون هو رفيقهن بدلاً من اولئك الرجال البدينين المتعبين. ولا تنكر فنّي ان لرجال اليونان ابهة عارمة. وقطع زونار افكارها عليها عندما امسك بيدها. ونزلا معاً درجات السلم العريضة وتوقفا عند امرأة تبيع الفستق والزبيب الناشف.

كان زونار يتأمل فنّي وهما يقضمان الفستق ويعجب بفستانها الاخضر البسيط الذي تبدو فيه وكأنها سترتفع في الفضاء وتطير. وقال يمتدحها:

«تذبل الشمس امام شعرك. جلدك بلون العسل الصافي والسواد اختفى من تحت عينيك. كم اتمنى لو يتاح لي ان اعلن للعالم انك لي. عندما ينظر الناس الينا يعتقدون ذلك، فهل سيتحقق هذا يا فنيلا؟».

«انا... انا لا اعرف حقاً. الا يكفي هذا في الوقت الحاضر؟».

«وهل تكتفين به... في الوقت الحاضر؟».

«ارجوك يا زونار. احب ان تفهم ان الايام القليلة التي امضيتها معك بلا هموم ولا سموم اراحتني واعادتني الى الحياة. وانا ممتنة لك كثيراً».

«ممتنة؟ لم افكر ابداً في ان هذه العبارة تثير اهتمامي! كل ما هنالك هو ان اكون رفيقاً جيداً لك».

«انك هذا الرفيق الجيد».

«هذه المرة الاولى التي ارافق فيها فتاة في جولة عذرية».

«الا تستمتع بهذه الجولة؟ الم تكن بمثابة تبدل في حياتك اليومية؟».

اضحكه كلامها وقال:

«وانت تشحذين شهيتي للأكل ايتها الانكليزية. لنذهب الى مطعم

الدلفين الواثب».

كان المطعم قائماً بين اشجار النخيل واللوز والازهار، يقدمون فيه لحم الخروف المشوي على السيخ والخضار بالصلصة. وكان عدة رجال يرقصون الرقصة اليونانية الشهيرة السرتاكي وهي تشبه الدبكة العربية، خاصة اللبنانية، في بعض نواحيها. يضع كل راقص ذراعه على كتف جاره وتتبع حركة ارجلهم وقفزهم ايقاع الموسيقى. وغالباً ما ينهض الرجال من كل الاعمار ليرقصوها كأنهم يعبّرون عن فرحتهم بالحياة. وقال زونار وهو يبهج نظره بفينلا وبالرقصة:

«شيء من هذا لا يحدث في انكلترا».

كان وهو يتكلم او يأكل يضرب الارض بقدمه اسوة بالراقصين.

«هل يفعل هذا موظفو مكاتبكم في انكلترا وينطلقون كهؤلاء الراقصين؟».

ضحكت من ذلك واجابت:

«نحن وجلون وكثيرو الانتباه لأنفسنا، ويحزنني ان اقول ان بعض رجالنا بدينون».

«هل تخجلين مني؟».

«كلا! لماذا اخجل منك؟».

ولكنها كانت كثيرة الخجل من هراكليون. وتكفي نظرة منه لتجعلها تنكمش ويفرغ الدم من جسمها ليجتمع كله في وجهها.

«ارى نفسي طبيعية معك بكل ما في الكلمة من معنى، وانا اثق فيك اكثر من اي شخص آخر في حياتي. قل لي. هل تفتقد ابنك؟».

«بعض الشيء. انه مخلوق غريب حقاً. له عينا امه التي كانت لطيفة وطيبة اكثر مما استحق، وآسف كثيراً لاني لم اتح لها الفرصة دائماً لتثق بي يا فينلا. وبخلاف دمتري وهراكليون لي عينان تتنقلان بين النساء، بينما عقلية شقيقيَّ هي الاقتناع بامرأة واحدة يحتفظان بها».

خفضت فني عينيها. وتمنت ان تستحق بينلا حب هراكليون وتعلّقه بها. اما هي فقد فكرت بأنها ستمضي في الحياة وهي تجهد باستماتة لتتحمل العذاب الذي كان يسببه لها حبّها لرجل متغطرس غريب لا يبادلها حباً بحب. ولو أحبّها لأمكنها ان تنسى فقدان طفلها...

قال زونار:

«سنرقص هذه الليلة. قالوا لي ان هناك حفلة رقص مقنعة مساء كل جمعة. سنذهب الى تاجر ألبسة ونستأجر ثياباً ملائمة. ما قولك؟».

«هذا سرور كبير لي. لم البس قناعاً في حياتي...».

وتذكرت ان حجاب العرس الذي غطى وجهها لم يكن الا قناعاً اخفت به وجهها عن هراكليون. وسألت زونار عن رأيه في ذلك.

«انسي ذلك! من منا لا يندفع ولو مرة واحدة ويرتكب خطأ؟ لا تستمري في معاقبة نفسك على عمل قمت به عن حسن نية. كلي قطعة الحلوى الآن ثم نذهب الى بائع الالبسة».

كان بهو الرقص في الفندق ذاك المساء مزيناً بالبالونات والانوار البهية. وكانت فرقة اوركسترا وجوقة من عازفي آلة البزوكي تتناوبان العزف، الاولى تعزف الالحان العصرية والثانية الالحان اليونانية الشعبية التي تملأ الروح حنيناً لا يوصف. وكانت اقنعة الدومنو السوداء والمذهبة التي تحل على النظارات تجعل العيون تبدو غامضة النظر.

لفت لباس فني الانظار لجاذبيته. وكان مكوّناً من معطف كله حبات خرز وقبعة بوليرو اسبانية من المخمل وبلوزة من حرير بأكمام مطرزة وتنورة تحمل كلها ثنيات تعلو غيرها من التنانير المدرّجة. وكان زونار لابساً سروالاً اسود وقميصاً فضفاضاً من الحرير وقبعة تشبه الجراب في آخرها طرّة، وبدا في لباسه هذا نصف قرصان ونصف مهرج.

وجدت فني البهجة والمرح وهي تراقصه. وعادت فتاة نسيت ماضيها القريب ولو لبرهة. ولكنها فوجئت براقص يضع يده على كتف زونار ويقول:

«ارجو المعذرة يا سيدي. سأراقصها انا».

هذا الصوت لا تنساه فني، وجحظت عيناها في عيني المقنّع... ورأتهما سوداوين ذهبيتين. كان يرتدي قناع الدومنو وبدلة سوداء بسيطة وقميصاً له ازرار سوداء.

تيبس زونار في مكانه كقطعة من فولاذ. ولكنه اضطر ان يتخلى عن فني لأخيه هراكليون الذي ما عتم ان ثبت نظره فيها وانحنى لها داعياً اياها للرقص. وشعرت بالذراعين القويتين تطوقانها، واحست ان الارض

مادت تحت قدميها. فقالت بصوت ضعيف:

«لا استطيع ان ارقص. ارجوك، خذني الى الخارج».

رافقها الى الخارج وذراعه على خصرها. وهنا استندت بيديها على سياج السطيحة وتضرعت الى الله كي لا يغمى عليها.

«هل صدمتك بمجيئي؟».

نزع قناعه فرأت عينيه اكثر سواداً من ذي قبل وازعجتها نظرتها.

«كيف وجدتنا؟».

استعادت قليلاً من قوتها. الا ان قلبها الذي عاد اليه الحنين لم يطاوع عقلها الذي اراد ان يقاوم. انه هو هو. قوي. طويل. شديد. أسمر. تجاسرت على دخول عرينه فمزقها ومع كل ذلك ينبض قلبها له ولم يتعلّم الدرس.

«قيل لي أنك هربت مع زونار واتيتما الى هنا».

«هل اخبرك دمتري بذلك؟».

«دمتري متعلق بشقيقه التوأم ولا يخونه. فادعى انه لا يعرف ماذا يجري. فاستوضحت في مكان آخر وقالوا لي بأنك اتيت لتتمتعي بوقتك مع اخي».

«انك استوضحت من مربية اليكو، اليس كذلك؟ او تطوعت هي لتفشي لك تفاصيل الفضيحة؟».

«هل هذا فضيحة؟».

مدّ يده وخلع قناعها عن عينيها ليتثبت منها انها تقول الحقيقة، فسألها:

«هل زونار حبيبك؟».

«حبيب؟».

تركت السياج حيث كانت تستند وانتصبت واقفة امامه واجابت:

«لي حبيب واحد في كل حياتي، هو هراكليون. رجل واحد فقط عرف كل نقطة في جسمي دون ان يعرف عن شخصيتي شيئاً. رجل اشتركت معه لنصنع طفلاً، هذا الشيء الصغير الذي كنت اريده بكل قواي، ولكن القدر الذي تؤمنون به انتم معشر اليونانيين انتزعه مني يوم صعدت الى الكنيسة لأقدم الشكر لله على انه انقذك من الموت في الانفجار».

«الطفل!».

شد على ذراعيها بقوة ولكن دون ان يؤلمها.

«لو مات في الوضع لوقعت الملامة عليّ...».

«كلا. حادث السيارة عن الطريق».

«تحادثت مع الطبيب الذي اطلعني على كل شيء...».

«الآن تعرف يا هراكليون ليس عندي ما اقدمه لك بعد الآن. وليس لك ما يمكنك الحصول عليه مني. ابنك مات وانا كنت سبباً في موته مع اني افضّل الموت لنفسي كي يعيش هو. وهذا ما اعتقد انك تفكر به...».

«ما افكر به هو اني كنت اعمى ووحشاً في معاملتي لك!».

«معاملتك لي؟».

حدقت فيه مشدوهة وقبل ان تتكلم تابع يقول:

«شيء واحد اقوله لك يا فيي قبل ان تخرجيني من حياتك... احببتك بدون علم مني. وعندما فتحت عينيّ على ذلك رفضتني انت. ولهذا رحلت في سفينتي لأبتعد عن كل شيء، كالولد الذي انقطع خيط طيّارته وبقي وحيداً».

«انت... احببتني؟».

فتحت عينيها على وسعهما في وجهه العريض... وامتلأ قلبها دهشة.

«لكنك كنت تكرهني يا هراكليون. كنت تريد بينلا وظننت انك ذهبت لتبحث عنها... لتكون بالقرب منها».

«بينلا؟ اتعرفين... نسيت شكل وجهها بعد فترة قصيرة من التعرف عليك. انت وحدك كنت تدخلين افكاري وتخرجين منها. احياناً حتى أثناء حضوري اجتماع عمل. شعرك الذهبي المتموج على كتفيك وعيناك الناعمتان ويداك اللتان تشبهان العصافير وهما على كتفي. وملمس الحرير الذي كان اثره يظل في خيالي طويلاً حتى عندما اكون بعيداً عنك... سامحني الله. كدت اقتل اخي عندما اخبرتني تلك الفتاة انك رحلت عن الجزيرة لتكوني معه. هل هو زونار الذي تحبينه؟».

«طبعاً احبّه...».

«آه؟».

كانت هذه رنة الم خرجت من حلقه. وبهتت عيناه وهو ينظر اليها.

«ان زونار أعز سلف يمكن لفتاة ان تأمل فيه».

«آه!».

اختلف نغم العبارة ذاتها هذه المرة وبرقت عيناه وقال:

«مهما كان الامر لم اصدق انك من النوع الذي يهرب او يقوم بهذه الالاعيب. ولذا اردت التحقق من ذلك بنفسي....».

قال لها انه يحبها واذا صح ذلك... وقد يكون مستحيلاً... عليها ان تجازف مرة اخرى وتدخل عرينه. قالت:

«لماذا يا هراكليون؟ هل تريد زوجة يستحيل عليها ان تعطيك ابناً؟».

«اريدك انت!».

هذا ما قاله وسمعته والذهول يملأ كيانها...

«لم اعرف في حياتي امرأة اكرم منك يا فني واكثر حلاوة وشجاعة. لو عاش طفلي لك انت، هل سمعت؟ اريدك حبة واريد فيك الحيوية والرشاقة والنعومة. اريدك ان تعطي وتأخذي وتملأي قلبي. اردتك ان ترافقيني على السفينة ولكنك رفضت المجيء فتألمت كثيراً... كثيراً جداً...».

«اني فوّت فرصة ذهبية علي. ولكني كنت دائماً اعتقد بأنك ستتركني بعد اتمام الصفقة بيننا وذلك بانجاب طفل لك...».

توقفت عن الكلام اذ لم تستطع الاستمرار فيه.

«استحق عقاباً بالجلد لعقد هذه الصفقة معك. آه يا فنّي، هل ارجو عفواً منك لمعاملتي الوحشية لك؟ سأحاول ان اصلح نفسي في المستقبل».

«حسناً، ولكن ليس كثيراً».

سحبت منه يديها وطوقت عنقه بهما. واحتضنها في عناق تمنّت لو يدوم الى الأبد...